

أنا المقعِّد ناه

محمد درویش



بحضور

إيقان مرشليان

الطبعة الأولى

أنا المُقْرِئ أَدْنَاهُ مُحَمَّد درويش

بحضور
إيثانَا مرشليان



إلى كل المتزهدين
تحت المطر البارسي الحزين
وهم سعداء

1991/15/80

卷之三

حوارنا الجارysi الطويل مدوّناً بخط يده

محمود دروش قبل اثنين وعشرين عاماً:

”أهديك هذه المخطوطة...“

حافظي عليها جيداً وتصرفي بها في الوقت المناسب“

تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩١

زمن لم يكن فيه لا المرض ولا الغياب مرادفين لاسم الشاعر الفلسطيني محمود درويش، بل النجومية المطلقة، في مدينة النور، حيث أمضى أعوام من حلقته الشعرية الذهبية، في عجفة الحضور والنشر والتاليف والأمسيات.

وهناك أيضاً، احتفل الشاعر بدخوله الخمسين.

لقاءنا الأول تم في باريس، العام ١٩٩١ ، بعد أمسية قرأ فيها من ديوانه الأخير ”أرى ما أريد“ واحتشد لسماعه آلاف العرب والأجانب ... أما الثاني، ففي منزله الكائن في ساحة الولايات المتحدة الباريسية، والمطلة من طبقته الخامسة على برج إيفل و ”أشجار المنفى والحمامات الرمادية“، وذلك بعد أن وافق شاعر فلسطين، المعتكف عن المقابلات لأكثر من أربعة أعوام، على إجراء حوار أدبي معه، بطلب من الأستاذ أنطوان نوفل، رئيس تحرير مجلة الدولة، وكانت يومها محتررة ثقافية فيها.

تأجل موعدي مع محمود درويش مرتين:

الأولى "لأسباب عمل طارئة"، والثانية لدواع بحث
مزاجية.

وقد صار حني لاحقاً أنه كان شبه واثق من عدم منع أي
حوار صحفي من أي نوع كان لكل الصحافيين الراغبين
في لقائه، لكن فيهم أنا، من دون استثناء أو تحيز:
"آلام مجتمع - قال - عن التصريحات منذ فترة طويلة، ولا قابلية
لي على تكرار الكلام عنه. أفضل أن تكتبو مقالات تتناولون فيها
أدواري وكيفية الجريدة".

لكن، ومن حسن حظي، أن موقفه هذا من الإعلاميين
لم يكن نهائياً، إذ عاد واتصل بنا الشاعر في المجلة، بعد
أكثر من أسبوعين، ليثبت الموعد الثالث:
"تعالي يا يبطانا إلى البيت،
انتظرناك غداً عند الرابعة... ولا مانع لدى إن تأخرت قليلاً".

دعوة ملقومة، تشبه، إلى حدٍ غير مبالغ فيه، أغنية فيروز
”تُعا ولا تُعي“، وأفهمتها جمِيعاً مضمونها للمطْن الذي
يختفي رهماً رغبة في عدم اللقاء.

دعوة انتظرتها لأكثر من أسبوعين، لكن ما أُذن وصلتني
حتى أجهلُّتني وقلبت سعادتي غمَّاً وعتباً، دون أن يتأثر أو
يتناجأُّ لهنؤُّ المزاجية زملاتي والمسؤولون في المجلة، بل
راحوا ينبهُون على بإجماع العارفين:

”تحضرني وتحضرني أسلنك بذلك وعجاية. وفي مطلق الأحوال
لا صوقي أن يستغلُّك حوارٌ صحفيٌّ، بل ربما للتعرُّف إلى عاشقةٍ
استثنائية لأشعاره، بحسب ما أُعْلِمُ لك عنك بعد الأمسيَّة“.

في ذلك اليوم بحَرَثْتُ في ترك مكاتب المجلة، وأهملتُ
لأول مرة، عحضرات مهمة في الجامعة لأنفرَّغ لليلة كاملة
للأسئلة.

عدت مسرعةً إلى غرفتي في البيت الأرمني من المدِينة
الجامعية، وحضرت الفهوة المرأة لقربي حتى المشتبَّة، ورحتَ
أتأمل بسمَّ الشجرة العملاقة، قبالي، تساميَّلها عاصفة
هوِّجاء في الخارج، ففتحت لها، لأول مرة منذ أربع

أعوام، شباتي الذهري الواسع، وتركتها تقتسم الغرفة
باغصانها المبللة:

”شعر درويش المزین - قلت في نفسي - يشبه الشتاء...
لحس المطر الغزير في الخارج يلهمني أسللة تروق له، فلا يرفضني
ولا يرفضها، ولا سأحقد عليك أيها الشتاء طالما حبيت“.

وحيدة جلست عند حافة النافذة، أراقب حركة المارة
ومظلاتهم المتطايرة على امتداد جادة جورдан، وأدون
أفكاراً وأسللة محتملة لشاعر ”جواز السفر“ ... و ”أمِي“
و ”ربنا“.

٢. سؤالاً وأكتر رتبتها وأنا على فلق:

ماذا لو خيّبني درويش بعد لقاء الغد، كبقية الإعلاميين الذين
اعطلوه منهم بالجملة ولم يخص أيّاً منهم بعبارة أو كلمة؟
أقمعت نفسي بالأمل إلى أن اقتنعت أخيراً:
الحوار مع شاعر ”ورد أقل“ و ”ذاكرة للنسوان“ يستأهل كل
هذا الانتظار، حتى لو لم يحصل اللقاء أبداً

١٠ كانون الأول / ديسمبر ١٩٩١

إنها الرابعة من بعد الظهر، إلا... عشر دقائق، جاءت إضافية رائعة ومنقذة، جلت خلالها وحدي في أرجاء الساحة الفسيحة، أستنشق جوّها الماطر باستمتاع وهدوء، وأبحث عن الرقم ٧ من بين سائر المباني المتشابهة، محاولة التخفيف مما في داخلي من توّر... كيف لا والشاعر الذي فوق هو محمود درويش، وكنت أحضر نفسيًّا للاختبار الثقافي الذي نهني إليه زملائي، وتلك سابقة أربكتني لأنها غير مسبوقة في حياتي المهنية.

دقائق قليلة أرجعتني، رغمًا عنِّي، وأنا أنتظر الامتحان الدرويشي، إلى مكانٍ وزمانٍ آخرين، إلى جامعتي في لبنان، وتحديداً إلى الامتحان الاختباري الأول في كلية الإعلام، حين سُئلنا:

لماذا تخافرون الصحافة مهنة لكم؟

فاجبthem بعفوية مطلقة أكسبتني العلامة المرجوة بامتياز:

لأحاور يوماً... محمود درويش

وجاء اليوم الموعود... وقفْتُ على بعد خمس طبقات
من تحقيق حلمي الصحفي، أعنانْ عقارب الساعة:
إنها الرابعة والربع، ولدي بعد متسع من الوقت أتأخره
بحريّة، نزولاً عند رغبة صاحب الدعوة... ولم أحسم
أمرِي قبل الرابعة والنصف، حين صدعتُ أخيراً، لأجدَه
في انتظاري، أمام مصعد شقته، جميلاً أنيقاً مبتسمَاً و...
متاماً ساعة يده:

- يا أهلاً بـيـهـاـ الرـهـيـةـ... لماـذاـ هـذـاـ الفـاـخـيـرـ؟

- أنت طلبتَ مني أن أناخر...

واستعجلتُه: استاذ محمود، هل تتحمّل الحوار لأن رئيس
التحرير أصرَّ عليه؟

فأجابني، محاولاً التخفيف من وطأة الاتهامين:

• حقاً أنت رهيبة! هذا كله تأويل! "كنتُ أمزح معاكِ".

بعد وصولي بدقائق تباعي عبد قاروط، مصوّر المجلة،
وجلسنا ثلاثة حول طاولة الطعام المستديرة، نحضر جلسة
التصوير الثانية، فإذا بدرويش ينبه علينا، بلباته المعهودة،
أن لا ضرورة لـكل هذه الجلسات ”ما دام الحوار معي ليس
مؤكداً بعد“. غير أنَّ الزميل المصوّر تصرّف كما لو أنه لم
يسمع شيئاً، فأنقذ الموقف من حيث لا يدري، إذ فتح شباك
الواجهة الزجاجي، وطلب منه الوقوف قبلة برج إيفل،
فخضع الشاعر للطلب بكل طيبة خاطر ...

وعندما أمعن عبد في امتداح الصور السابقة، التي
التقطها له أمام مكتبه وداخل مكتبه... وهو يكتب
ويشرب القهوة، بادره درويش بروحه المرحة:
”بكفي تصوير يا عبد... أنا شاعر مش فنان“، ثم علق
منتقداً مزاجه:

”الشهر الماضي كنت مرتاح أكثر، اليوم أنا شوي تعان“ ...
وذلك قبل أن يدعونا للدخول معه إلى المطبخ لنشهد
على تحضير القهوة الدرويشية الشهيرة... وطبعاً بعيداً
عن عدسة الكاميرا. وأثناء إعداده القهوة - النجمة مازح

محمود درويش المصور محدداً:

أين تعلمـت الترهـيب يا عـبد؟

إذ أضـحـكتـنا طـرـيقـتـهـ الفـعـالـةـ فيـ التـقـاطـ أـكـبـرـ عـدـدـ منـ الصـورـ فيـ وـقـتـ قـيـاسـيـ،ـ لـاغـيـاـ منـ قـامـوسـهـ أيـ فـرـصـةـ اـعـرـاضـ منـ الـطـرفـ الآـخـرـ.ـ فـيـرـدـ عـبدـ:

ماـ حـدـاـ يـعـرـفـ أـسـتـاذـنـاـ...ـ بـكـراـ بـسـ تـرـبـعـ نـوـبـلـ بـكـونـواـ

صـورـنـاـ جـاهـزـينـ.“.

استـسـلـمـ درـوـيـشـ لـكـلـمـاتـ المـدـيـحـ،ـ وـاسـتـمـعـ إـلـيـهـاـ بـرـحـابـةـ،ـ دونـ أـيـ تـعلـيقـ.ـ وـبـعـدـ مـغـادـرـةـ المـصـورـ سـأـلـنـيـ الشـاعـرـ وـنـحـنـ نـغلـقـ خـلـفـنـاـ الـبـابـ:

هلـ تـعـقـدـنـ أـنـ الـجـوـالـزـ الـعـالـمـيـةـ تـزـيدـ مـنـ أـهـمـيـةـ الشـاعـرـ؟ـ

-ـ بـالـتـأـكـيدـ أـسـتـاذـ مـحـمـودـ...

أـيـ مـعـنـىـ؟ـ

-ـ لـأـنـهـ رـعـاـ،ـ وـلـسـتـ أـكـيـدةـ مـاـمـاـ أـقـولـ،ـ تـزـيدـ مـنـ ثـقـةـ الشـاعـرـ بـنـفـسـهـ وـبـجـدـوـيـ شـعـرـهـ،ـ قـبـلـ أـيـ شـئـ آـخـرـ.ـ صـحـيـحـ أـنـ الـامـتـياـزـاتـ الـمـادـيـةـ وـالـمـعـنـوـيـةـ تـكـوـنـ مـهـمـةـ،ـ لـكـنـ فـرـحةـ الـفـائـزـ بـاعـتـرـافـ الـآـخـرـيـنـ بـأـهـمـيـةـ مـاـ يـقـومـ بـهـ هـيـ الـأـهـمـ.

• من تقرأين لغير العرب، من تفضلين بينهم؟
[شعرت حينها أن ساعة الامتحان الشفهي... قد
دقّت]

- لا أحب شاعراً أو روائياً أو كاتباً مسرحياً واحداً،
لكنني أميل إلى قراءة أي كاتب، كاملاً ودفعه واحدة
... أحب أن أكتشف الهاجس الأساس الكامن خلف
نصوصه، الهاجس اللغز لدى الذين يكتبون.

• لا تنسى هاجسي اللغة والكتابة... غالباً ما نكتب لنكتب،
لأننا نحب ذاتنا أكثر حين نحن فوق الورق الأبيض، غلاؤه بما
نرحب من حروف وكلمات وأفكار... نكتب لأننا لا نقن فعل
أي شيء آخر بالجدارة عينها.

- هذا يعني أن دافعك إلى الكتابة أدبي بحت؟
• طبعاً، أدبي وشخصي، الإنساني يأتي لاحقاً... ”عالك
لنجان قهوة تاني“؟

تبعته بصمت ووقفت قبالته مجدداً، أرافق حركة يديه
وهما تبدعان في تحريك القهوة، فكان من البدائي أن
يحضرني نصّه الرائع في ”ذاكرة للنسوان“، فذكرته به:

هنا على الأقل، في باريس، لديك كل الوقت لتحضير
 فهوتكا

• هل قرأت لي نص التهوة؟ إنه من تصوسي الأحب إلى قلبي
في "ذاكرة للنسوان". فهوتك حلوة؟

- لا، مُرّة !!

• حتى فهوتك كالكاوية؟ تعالى نتكلم في الداخل!

كم عمرك إيفانا؟
- ٢٦ عاماً.

• أنا... قليلاً وأدخل في الخمسين.

- إنشاء الله العمر المديد أستاذ محمود، مئة عام على الأقل،
أنت تستأهل أطول عمر ممكن!
• صاحكاً: مئة عام؟ ياريتا

ثم مستوضحاً: أنت من أي منطقة في لبنان؟
- الأصل من الأشرفية (وضحكت)

• ليش بتضحكني؟ ثم انتقل سريعاً إلى موضوع آخر:
أحييتك أنت لست معجبة بكاتب واحد، ولكن، في نهاية
المطاف، لمجدنا نقرأ بكترة شاعرين أو ثلاثة.

- صحيح، هذا ما يحصل غالباً. أقرأ كثيراً كافكا دون أن يكون بالضرورة كاتبي المفضل... لكتني أشبهه كثيراً!

• (مقاطعاً): من ثيابك السوداء الطويلة قلت في نفسي:
”البنت كافكاوية، يعني يمكن فلسطينية كمان... طبعاً تقص
الكوفية“.

- فلسطينية؟

• رأيتِ بالأسود الطويل، الشيبة بتناير الفلسطينيات السوداء
الطويلة.

- هذه تنايرنا المقطعة من رایات فرحتنا المشتركة!
• ”الفرح بيتش؟! بنت باريس بعمرك ما بيلبسوا هيك
أسود“... يعني ملاحظة عابرة.

عدنا إلى الصالون لنشرب قهوتنا، فبادرني درويش:
إيفانا، أن تكوني هنا في ضيالي لا يعني أنني وافقْتُ
على المقابلة. تعلمين أنني ممتنع عن الكلام منذ سنوات،
حتى مقابلاتي قبل ذلك التاريخ كانت نادرة. أحياناً، أتجنب
الوقوع في مطبات الأسئلة الجاهلة لدقائق الأمور والتفاصيل
والمحibات... .

(وبعد صمتٍ وتفكير): قولي لي، ماذا تعرفين عن محمود درويش يا فاطمة الأشرفية؟

[كم استغربتُ أسئلته حول هويتي الحزبية وميولي السياسية]

ثم تابع والابتسامة على وجهه:
”بالـ ٨٢ رشّيتي الفزاعة اللي دخلوا بيروت ليقضوا علينا بالورد والرز؟“
فأجبته مقاطعةً: ”تعرف أستاذ محمود إني زعلت منه؟“

”لِيشْ تزعلي مني؟ هادا شي حصل بيروت!“
- أجبته بحدّة: ”أنا لبانية من أصل أرمني... والأرمن،
مثل ما تعرف، ما بشار كانوا ولا بأيدوا الإيادات. الأرمن،
مثل الفلسطينيين تماماً، ارتكبت فيهم إيادات... بعدين يا
ريت تكون موضوعي.“

تعرف؟ نحنا نبينا مدينين لبعض باعتذارين: الأول
مني لالك، لأنّي من منطقة يمكن تكون هلت خروج
الفلسطينيين من بيروت تحت قصف الدبابات الإسرائيلي،

والثاني منك أستاذ محمود، لأنك مدین لائي باعتذار كبير
كمان!!“

”وليش أعتذر“؟

- صحيح أن أصولي من الأشرفية، لكني من سكان
الشياح في الضاحية الجنوبية لبيروت. في الد ٧٥ كنّا بين
الدفعة الأولى من قافلة المهجّرين في الوطن، على جبهة
الشياح - عين الرمانة...

نحن أيضًا في حيّ ماضي شرّدنا من حيننا وطفولتنا
بسبب حركة مسلحة من الشباب الفلسطيني، رأوا أن
يحتلوا بيتنا، بقوة السلاح، أسوةً ببيوت كل الأهالي
المسيحيين، كتعويض عما ضاع منهم في فلسطين!!
مقاطعاً: إذاً، لماذا تجيئن شعر محمود درويش ما دام نحن من
هجّرناك من بعك وطفولتك؟ ”انا كمان للفلسطيني، ما تنسِي“!!
- ”لأنو، بكل بساطة، الشعر والفن... أقوى من
الدبابات“.

تصور أن شعرك كان، ومن حيث لا تدرى، سقف بيتنا.
في وقت طويل من الحرب لم نكن نملك فيه بيتأ...

- كنت في الثانية عشرة عندما تعرّفت إلى كتاباتك لأول مرة، عن طريق الصدفة، وذلك عندما سلمتني إدارة المدرسة في حفل انتهاء العام الدراسي مغلقاً مختوماً دون عليه: جائزة اللغة العربية.

من داخل ذلك الملف أخرجت "يُوميات الحزن العادي" ليصبح هذا الكتاب، لاحقاً ولسنوات طويلة، رفيقاً دائماً لي، أحمله معه من المدرسة إلى البيت ومنهما إلى الملاجىء...

كنت أخاف عليه من الضياع، في عجقة التنقل العشوائي أثناء الحرب. هذه السيرة بالذات كانت بالنسبة إلى أهم من البيت والمدرسة والأكل والنوم الآمن. لم أصدق حينها، من فرط كآبتي الطفولية، أن أجده عنواناً يكرس يوميات للحزن... العادي.

مرة سالت أبي: هل قرأت هذا الكتاب؟

- فأجابني: طبعاً... وكان موجوداً في مكتبتنا في بيروت. كانت عندنا كل دواوين محمود درويش، لكنها

ضاعت للأسف ا.

- من هو محمود درويش؟

- هو أهم وأشهر شاعر فلسطيني اليوم، "يكتب من هو وزغير شعر وثر وعندو دواوين لازم نرجع نشتريها"،
وتتابع متحسراً:

"بس قالولنا إنسرق بيتكن، أكثر شي زعلت عدواوين
درويش".

• "أبوكي بحب شعري؟"

- جداً...

• "هو عايش؟"

- "عايش"، ويسمّيك بريد فلسطين إلى العالم.
يعتبر أنك والرحابنة وفيروز أفضل من خدم القضية
الفلسطينية.

• "يوميات الحزن العادي، هادا كبيغو متعل الحلم"

ثم متتابعاً: "ذكريني، شو بقول فيه؟"

- في "قصة حب": "أنا علمتكِ التدخين... وأنتِ علمتني
مرارة الدخان".

• متعجباً: «أنا قلت هيك؟ والله حلو هالكلام»...
وبعد صمت: «إيقانا، الترکيلي الأسئلة واحكيتني بعد
أسبوع... وبس تتصلى بيروت قولي لأبوكي: محمود درويش
يسلام عليكا»

ساقرأ الأسئلة وأقررت، لكنني لن أعدك بشيء الآن.
تركتُ أسئلتي لديه فوق الطاولة الكبيرة في الصالون،
وغادرتُ مسرعة، إذ شعرتُ أن هذه اللطافة الزائدة ستكون
مخجلاً لانتقاماً للاعتذار مني بعد أيام، فتسليحت، من باب
المخيبة والخذر، بذرع وقائي يحميني من هول الصدمة،
إن هو تتجاهلنا واستغنى عن أسئلتي... فتمتننت على الأستاذ
رواد طربه، المسؤول الثقافي في المجلة:

- هل تتصل بالشاعر محمود درويش الأسبوع المقبل
لتتسأله بنفسك عن مصير الحوار؟
فطمأنني بهدوئه المعتاد: لا، لن تتصلى... هو سيفعل، أنا

متأكد! ١١

مرّ أسبوع ثم أسبوعان.

كنت تناست أمر تلك المقابلة، إلى أن فاجأني صوته
عبر الهاتف:

- ”ألو، رهيبة؟ إنت بالبلد؟ ليش ما بتصلي؟“
- اعذرني أستاذ محمود، انشغلت في تغطيات مستعجلة.
- متى آتي لأراك؟
- تعالى بعد غد، وبعد الرابعة!
- وما أن أغلقت سماعة الهاتف حتى استدركت أن بعد
غد يصادف يوم العيد؛ عيد الميلاد، فكيف لم أتبه للأمر؟

٢٥ كانون الأول / ديسمبر ١٩٩١

الساعة الثالثة

تركتُ مترو كليبير وبِي شوقٌ إلى السير على القدمين
حتى الساحة الكبيرة للولايات المتحدة. المطر كان خفيفاً،
وزينة الميلاد التي تملأ الجادة الواسعة والشوارع خلفها
أنباتني يوم استثنائي سعيد. أعرف الآن، وفي هذه اللحظة
بالذات، أنه كان أروع ميلاد في حياتي أقضيه وحدِي في
باريس، لكنني في الواقع كنتُ أستعدُ أيضاً، ومن حيث لا
أدرِي، لاستلام أثمن الهدايا:
من أجمل رجل... في أجمل ساحة... في أجمل مدينة.

تحولتُ في الشوارع الخاوية، وكان نوراً إلهياً يضيئها.
لم أفرح يوماً في باريس كمثل ذلك اليوم. كل شيء حولي
كان ينذر بسعادةٍ نادرة، كلّك التي تشعر أنها لا تأتيك إلا

مرة في العمر. تطايرت في الضباب الكثيف كالفراشات.
شعرت بروحٍ خفيفة، هائمة وملوّنة المشاعر... حطتُ
فوق مقعدٍ خشبيٍّ أتأملُ زينة الساحة الميلادية دون أن
تزعجني الحمامات الرمادية، كما العادة... بل اشتريتُ
لها خبزاً بالحليب من "البراري" قبالي، ورحتُ أطعمها
بيدي، ولمْ أمنع نفسي عن السؤال:
لماذا أنا سعيدة إلى هذا الحد؟
من أين أنتني كل هذه السعادة فجأة؟
هل تكون مرادف الفرح الخائن الذي تحدث عنه
درويش في "يوميات الحزن العادي"؟
[...] وفجأةً تضحك، تصبحك المساواة بين المحتلين والغزاة.
وأنت تناضل لكي لا تأقن الفرح... ولقد علمتك الأيام أن تخدر
الفرح، لأن خيانته قاسية، فمن أين يأتيك فجأة؟]
لقد أتاني الفرح فجأةً، فلمَّا أخذله؟

سأشتري هدية العيد لدرويش، ولكن أين أجده هدية
تليق بشاعريته؟ رحتُ أبحثُ وأتقنُ في انتقاء الهدية:
يجب أن تكون منحوتة أو لوحة فنية... ولكن، من أين

لي ثمنها؟ إذاً، لا بدّ من تذكّار رمزي يفي بالغرض.
ماذا أهدي صاحب "يُوميات الحزن العادي"؟
بعد تفكير وحيرة وجدتني أمام حلٍ معقول:
لمَ لا أهديه بنًا بالهال وشوكولا مغلظاً بحبات القهوة؟

وصلتُ متأخرة إلى بيت الشاعر ساعة كاملة، لكنني لم
أعتذر عن هذا التأخير، لأنّه لم يسأل ولم يعاتب.
• ميلاد محيد - قال لي - ظننتكِ لن تأتي لأنّ اليوم عيد الميلاد...
ولكن عندما تذكريتُ أنكِ وحدكِ قلت رعا تأمين لكي لا تكوني
وحديكِ.

- أنا لستُ وحدي في باريس، أختي باريسية وزوجها
وولداهما هنا، وقد عيّدنا سوياً البارحة مع الأصدقاء، لكن
الجو الساحر في الخارج أغرااني للتّنزه... تصور أنني دلّت
الحمامات الشاردة في الشارع، لأول مرة.

• "هذا يعني أنكِ أفضّل حالاً مني. أنا هنا وحدي، كما ترين".
ثم تابع مبتسمًا: "كما كان يسوع، ابن بلدنا، وحيداً".
- وهل كان يسوع وحيداً؟

• أنتِ ماذا تقولين؟

- على الأقل في ميلاده لم يكن كذلك، كان وحيداً

على الصليب!

• أنا أرى العكس! يسرع ولد وحيداً في مغارة ليموت... لكنه

مات عن الكل، مصلوبًا، وعلى مرأى من العالم، ليعيش التصوري
أن يسوع عاش على أرضنا وصلى تحت زيتوننا (...). أحبه أكثر

لأنه كان فقيراً، بعده أمه وهو حافي القدمين.

- يسرع فلسطيني، صحيح...

• لكن كون يسرع فلسطينياً، ألم ينحكم سبباً لتعجبنا أكثر مما
لعلم آنسة إينالا؟ (مازحاً).

تجاهلت تلميحاته القاسية، لأسأله في أمور يومية و...

عادية، بعد أن صحتْ له إسمي:

- أستاذ محمود، هل تألفتَ في باريس؟

• كان على باريس أن تألف معـي هنا تعودتُ على أن أقدر
وأحبّ اللغة الفرنسية، لذا أحـاول جـاهـداً أن أتعلـمـها بـجـديـةـ قـدرـ
الإـمـكـانـ، لـكـنـهاـ لـغـةـ صـعـبـةـ...ـ أـلـيـسـ لـغـةـ بـوـدـلـيرـ وـرـامـبـوـ وـهـوـغـورـ؟ـ
ثـمـ مـسـتـدـرـكـاًـ:ـ سـاحـضـرـ لـكـ قـهـوةـ العـيـدـ...ـ وـلـكـ عـنـديـ،ـ

بالمناسبة، هداياها رائفة، وستحببها.

- ولـكَ عندي هديتان ... وستحبـهما.

. أنا هديـتي وطـيبة ورـاحـتها بنـية.

- وأـنا أـيـضاً، هـديـتي بنـية ورـاحـتها وطنـية.

. إـذـا، نـعـادـلـ هـدـاياـناـ وـلـعـنـ لـشـربـ القـهـوةـ.

دخل مـسـرعاًـ إـلـىـ المـطـبـخـ، أـعـدـ قـهـوةـ تـنـاـ وـحـدهـ، ثـمـ عـادـ
عـفـلـفـ مـتـفـخـ قـتـرـتـ أـنـ فـيـ دـاخـلـ الـهـدـاياـ الـمـوـعـودـةـ، فـفـتـحـ

بـحـمـاسـةـ الـأـطـفـالـ:

. أـوـلـاـ، أـهـدـيـكـ بـنـاـ بـالـهـاـلـ...ـ وـلـاـيـاـ، شـوـكـولاـ بـجـبـاتـ القـهـوةـ.

منـ هـوـلـ صـدـمـتـيـ لـمـ أـنـطـقـ بـكـلـمـةـ، بلـ تـلـقـيـتـ هـدـايـاـيـ
بـفـرـحـ كـبـيرـ وـرـحـتـ أـشـمـ رـائـحةـ الـبـنـ بـالـهـاـلـ...ـ وـبـادـرـهـ:

- أـنـ رـائـعـ أـسـتـاذـ مـحـمـودـ ...ـ كـمـ أـنـتـ رـائـعـ!ـ شـكـرـاـ.

وـالـآنـ أـقـلـمـ لـكـ هـدـايـاـيـ:ـ إـحـزـرـ مـاـذـاـ يـوـجـدـ فـيـ هـذـهـ العـلـبةـ؟ـ

.ـ لـهـاـ زـعـرـ بـلـدـيـ،ـ أـمـ كـابـ شـعـرـ فـرـنـسـيـ،ـ أـنـاـ أـكـيدـ أـنـهـ لـرـامـبرـ.

وـلـاـ مـنـحـونـةـ أـوـ...ـ رـبـطـةـ عـنـ؟ـ

-ـ مـاـ تـقـرـحـهـ شـاعـرـيـ وـجـمـيلـ،ـ لـكـنـتـيـ لـمـ أـشـتـرـ أـيـاـ مـنـ

هـذـهـ الـهـدـاياـ!

وأخرجتَ البنَّ والشوكولا من العلبة وقدْ متهماً له: يدرو
أننا اخترنا الهدايا عينها، من العنوان عينه!!
• هل اشتريتِ الهدايا من "الكالزيام"، من عند رياض هجر؟
- من هو رياض هجر؟
• إله صديق للفلسطيني وأمرَ عليه دالماً: من أين تعرفينه؟
هل يعرف ذلكِ تعرفيني؟ هل هو من اختار لكِ هداياي لفسها؟
- لا أعرف صاحب المتجر شخصياً، ولا أعرف اسمه،
بل إن صديقاً لبنياناً مشتركاً أرشدني إليه. هداياي اخترتها
بنفسي، وصديقكَ لا يعرف أنني أعرفكَ ولم يطرح علي
أي سؤال !!

وضعنا هدايانا المتشابهة أمامنا، ورحنَا نحدّق فيها
بنعلول، ثم سأله:
- كيف حصل هذا؟
• حصل... وصار عنا مونة بن وشوكلولا لشهر كامل !!
- والمقابلة، هل نبدأ بها الآن؟ لقد هربنا القهوة وأكلنا
شوكلولا صديفكَ رياض...
• اليوم لا رهبة لي في الكلام، لمَ لا نوجلها إلى يوم آخر؟

- لكنك وعدتني!

• للطفي في موعد آخر، إن أردت بعد ثلاثة أيام... هذا وعد!

- وعندما فاجأته: هل توقع تعهدًا خطياً بهذا الوعد؟

• استجواب بطيبة خاطر: كما تريدين، تعالى معي إلى المكتب!

هناك أخذ ورقة بيضاء ودون عليها:

“أنا الموقع أدناه محمود درويش الأ晦د، باسم القسمير والأخلاق
والقدسات، بأن أسلم المواري الصحفى مع الآنسة إيفانا الرهيبة،
كاملًا، لي الساعة الرابعة من بعد ظهر السبت الموافق ٢٨ ديسمبر
عام ١٩٩١، والألمع حق إيفانا أن تشهد بي علانية وعلى رؤوس
الأشهاد والأشجار...”

١٩٩١ - ١٢ - ٢٥

التوقيع: محمود درويش

• علديها، هذه لك. انظر لك بعد ثلاثة أيام.

- هل ستسألمني الموضوع مسجلًا؟

• لا، مكتوب، سادون الأجوبة بخط يدي لأهديك إياها!

- بعد أن أثار جواهه واستغرابي: هل تكتب الأجروبة لأن
لائقتك لك بي؟

ما دخل النقا؟ أفكرب مشروع آخر بعد نشر الحديث في المجلة.
لقد أحبيت بعض أسلوبك، وتخيلت أجروبتها بخط يدي، في
مكان آخر، في وقت آخر، وفي شكل آخر. ستكلّم في الموضوع
لآخرًا...

تعالي نعمش قلباً، سأوصلك حتى مترو تروكادورو.

لبسنا معطفينا وخرجنا. كان الطقس بارداً وأكثر كآبة
من بعد الظهر:

إإنها العاسعة، سعكملين السهرة وحدك؟

- بصراحة؟

مستغرباً: «أكيد بصراحة، في داعي للكذب؟»
- سادون كل ما دار بيننا من أحاديث. كلماتك لا
نزال حاضرة بقوعة في ذاكرتي، ساكتبها حرفاً حرفاً كي لا
أنسامها. وهذا ما فعلته بعد موعدنا الأول.

ظل صامتاً ثم علق: «كت موعقع!»

تمشينا ساعة من الوقت، ربما أكثر وربما أقل، لا
أعرف... مِنْ الوقت سريعاً، وبهذا لي درويش خفيفاً في
مشيته كالعصافير. كان يسبغني أحياناً بخطوة أو باثنتين،
فيمنعني فرصة أن أتأمله يطير... فرحاً بالمطر. عندما
وصلنا إلى باب المترو سألته بقلق وبشيء من الخوف:
- كيف ستعود الآن وأنت وحدك؟

• كيف سأعود؟ كما ألمت! ألمظين أن محمود درويش لا يأكل
ولا يشرب ولا يسر على الطريق وحده؟
- معكَ حق، ولماذا أخاف؟ باريس آمنة: "بون نوي
... وميري كريسميس".
• "ميري كريسميس رهيبة... الليلة كمان عيد، أكتبي بكرة".
ووَدَّعني عند مدخل المترو: "يلا إإنزلي يا بنت وانتيهي
عالك... اللي ليل، بس توصلني طمنبني".

٢٨ كانون الأول / ديسمبر ١٩٩١

كانت الساعة السادسة مساءً عندما زرت محمود درويش للمرة الثالثة. اليوم هو موعد تطبيق نص الوعد المكتوب بتسليم المقابلة كاملة... وأنا عوض الرابعة، كما اتفقنا، منحته وقتاً إضافياً افترضت أنه قد يحتاجه لوفرة الأسئلة:

٠ ادخلني رهيبة!

[مسكاً بقلم الحبر، ومتناولاً بقدمين حافيتين]

- هل أزعجك؟

١٠ لا، لا... لقد أنهيت كتابة الجواب الخامس. سأبقي على ١٢ سوًياً فقط، كي لا أتخطى الـ ٢٥ صفحة!

- ٢٥ صفحة، تكتبها لي؟ وآخذها معك؟

٠ طبعاً هي لك! إنها هدية عيد الميلاد!

أخذت ما أبغزه من أجوبة بين يديّ، وقرأت منها جواباً:

- هذه ليست هدية، إنها أشبه بسيرة حياة ثمينة جداً... .

ما أجملها !!

كيف أشكرك أستاذ محمود؟

• هذه الصفحات أعجبتني فعلاً، ولائق بكتاب يضم كتاباتي
بخط يدي، تجاورها لوحات أو صور لدية.

- فأجبته دون تردد: «بتخليني صمم ونفذ أنا؟»

أجاب مبتسماً: لم لا؟ أنت تخين الفن التشكيلي وتحسين
اختيار اللوحات والصور... لكن دعني الآن أتابع الكتابة!

- إذاً، ماذا أفعل؟ أين تحب أن أختفي؟

• حضرني لي القهوة، وأنا سأكمل في غرفة المكتب.

- هل يمكن أن أقاطعك لأعطيك القهوة؟

• «ادخلني على ولا تهتمي للموضوع»... حين أكتب النثر،

أنزعج أقل

[وحدى في المطبخ... لأول مرة]

رغم طبعي الحيادي، وغير الفضولي، وجدتني أمام رغبة
هائلة في البحث والتنقيب أينما كان، وهذا ما فعلته... .

فاستوقفتني الزوايا الفسيحة الفارغة والشديدة النظافة:
أين يضع أواني المطبخ كلها، إن كنت لا أرى غرضاً
ظاهراً منها؟

هل هذا مطبخ أم متحف؟

فتحت الخزانة الأولى المخصصة للصحون والأكواب
الأنيقية، أسترقُ النظر إلى داخلها، فإذا به ورائي، يدخل
الظلل، ليصرخ عالياً في ظهري:

“الركوة مش هون مكانها، إيفاننا!!”

كدت أفقدوعي من هول الصدمة:

“إيش بده بالخزانات بتفتشي فيها؟ الركوة هونيك ا”

ثم ضاحكاً من أعماقه: “لو ما بعملي شي خلط ما خفتني
هيك ا”

- ”غلط شو“؟ أبحث عن الفناجين وعن كوب
لأسكب لك الماء.

“أعذر إن أخفتكِ، لكنني جئت أقول لكِ إنتي ساكتِ اليوم
لعلية أجوبة وأكمل الباقى غداً!

- ”ممتاز، بس بكرافِ رعبه مثل اليوم؟“

٠ ”... تنساهلي أولاً علصي القهوة وبلا بحث وتحري شمال

يدين، سأدخل للدجالي معنياً“

- اتفقنا، ولكن لماذا ألغيت ٨ أسئلة؟

٠ لأنني سبق وأجبت في مقابلات أخرى على أسئلة شبيهة أو

الرديفة منها.

ثم مبدئياً ملاحظته على كيفية إعدادي القهوة:

إذك تعديها بسرعة، وتضعين البن فوق مياه باردة... هذه أسوا

طريقة لإعداد القهوة!

وتتابع مجاز حاً:

”إنت أسوأ بنت حضرتلي قهوة بيتي أ“

- لا، لا... أعتقد أنني حضرت لك أطيب قهوة...

ولن ننساها !!

بعد أن أضاف إليها السكر حمل فنجانه ليختفي بسرعة
في المكتب، وهذه المرأة أغلق خلفه الباب.

بقيت وحدي في الصالون أراقب التفاصيل من بعيد،

وكتبت أخاف أن ياغتنى ثانية. أخرجت ورقاً أبيض من

حقيتي ورحت أدون حديثاً بيننا، عمره دقيقتان...

ورغم تخوّفي من دخوله المفاجئ، لم أمنع نفسي من تأمل المرأة العربية عند المدخل وبعض العناوين في مكتبه، فإذا غالبتها شعرية، وباللغتين العربية والإنكليزية... فوق أحد الرفوف، تأملتُ العديد من بطاقات المعايدة الميلادية، والسياحية من بلدان مختلفة، وكلها طبعاً... من معجباتِ لم أمس شيئاً هذه المرة، بل قرأت عن بُعد، ثم عدت إلى قواعدي سالمة، أقرأ في محاضرة سأتحمّل بها بعد أسبوعين.

[كيف فعلت ما فعلت؟ هل أنا محظوظة؟]

• بعد دقائق ظهر ليسؤال: السؤال حول المسالة والوصول ضروري؟ ”فينما بلاه؟“

- أكيد لا أستاذ محمود. هذا بالذات ضروري

• ”رح إتروكو كرماللك ضحرا الله؟“

- أبداً، أنا أدرس... ”خذ وتقك“!

• أعود بعد نصف ساعة على الأكتر، ونكمّل خدأاً

في تلك الأمسية أخفى الأوراق التي صاغها في درجه:

- هل يمكن أن أراها؟

• فأخذنيها خداً، لأنني سأكمّلها وأرتّها.

- دعني أقرأ... ولو جواباً واحداً!

• (بعد القراءة): تعالى نعشى قللاً خلف الساحة. أخبروني

أنَّ الزينة الميلادية هناك رائعة، لم أرها جيداً بعد. وتابع: نعشى

صيني ثم تلهعينا

- صيني؟ ألم تسمع في الأخبار؟

هناك مطاعم صينية في باريس تطبخ الكلاب والقطط!

• ”إيش؟ لكن لازم أعرف شو كانوا بيعطوني بالأكل، يلا

” تعالى“

من جديد اجتازنا الساحة الباردة والشوارع والجادات والأحياء، وصولاً إلى الترو كاديرو، سيراً على الأقدام. لم تحدث في تلك الليلة إلا قليلاً... كان نراقب زينة الكنائس والأشجار العالية، فبدت الساحة المضاءة قطعة من السماء على الأرض:

- باريس تكون أجمل في الليل.

• النظري إلى الأصوات، عندما تبخل بالنظر تصير ظللاً...
مشينا وتبللنا كذلك الأصوات. بمطر كانون. تحادثنا في ما

يصنع روعة المدينة، وقد احتمينا بمعزلته... وبعد أن تأطّط
ذراعي سالني:

• هل تخين المطر؟

- كثيراً، ويدركني الآن بقصيدة لشاعر لبناني صديق،
هو فلاح أبو جودة، كتب في وداع باريس: "متوفع
وباريس ماحبها الشتى" ...

• " صحيح، هو الشتى اللي يمحى الحلم الجميل" ، وبعد

صمت طويل:

" كل واحد بس بدّو يترك باريس بحس إنها لازم تخلص أو
لتحمي من بعده" ...

- ظننته يطلبُ من المطر أن يمحو الذكريات فقط،
ليخفّف من وطأتها.

• الشعر لا يحمل معنىً واحداً. يعبر الشاعر أحياناً عن
أفكار كثيرة مستخلِّطاً لها عبارات قليلة، لكنَّ النقاد نادراً ما
يكشفونها... النقاد المحترفون اليوم يهتمون بشكل مقالاتهم
أكثر من مضمونها.

- خصوصاً عندما يتناولون أعمالك...

- ٠ «يهعموا بشكل المقالة لأن بدبي إلراها (ضاحكاً). أيام يكشف مقالات نقدية رائعة بالشكل، بس ما بتحمل أكثر من لكترين زخار... النقاد صايرين مفلذين ومقالاتن صعبة، إذا أنا ما إلهمهاش، كيف الناس العاديين بدن يفهموها؟»
- من خدمتك وقربك من الناس أكثر، النقد أم الغناء؟
- ٠ إلاطان. لكن لو كنت نالدأنا اسو عقتي الأمور التي يهتمون لها، هل ليحدث أكثر في أسوار النص!
- ماذا كنت قلت عن «أرى ما أريد»؟
- ٠ هو كتاب تلال، «كلو علي. كنت بحب شوفو بلوحات.
- نيل الشاعر اللي في حولو رسامين كبار... بتعربني إنو أنا وزعور كنت حابب كون رسام؟»
- «رسام؟ وكيف صرت شاعر؟»
- ٠ «لأن ما كان معنِّي ثمن الألوان... كان أسهل على إحصل عالورقة والقلم واكتب!»
- «زعلان لأنك خسرت الرسم؟»
- ٠ «كبير... أصلًا أنا وفقت ليكي بخلافات دقايق لأنك بتعكبي بالمجلة عن الرسم والرسامين. الرسم ضعفي!»

• مقاطعاً: آخر لوحة اشتريتها كانت للفنان بول غيراغوسيان،
من معرضه الباريسي الأخير. وضعها في صدر الدار، وأتأملها
كل يوم!

- أنت وبول، كم تتشابهان!!

فرد بتأثر واضح: ”ما نحنا طلعنَا من نفس المكان، وعشنا
نفس المأساة... وهالكلام قلعلو ياه بس إلتقينا. وجاوي بي بول:
”يا محمود، ما حدا بالعالم بيفهم إللي عملناه وعم
نعملو، إلا ناسنا المشتركين. إللي عشناه كان أكبر من إنبو
نقذر نشرحو لناس مرتاحين ما عرفوا الااضطهاد والمحروب
بحياتن“.

وتتابع درويش: ”لازم تتعوّفي على بول شخصياً“
ثم استدرك: ”إلت بعد ما بتعرف فيه؟“

- ”أكيد بعرفو. مين ما بيعرف بول غيراغوسيان؟“
وتتابع: ومرسيل خليفة أستاذ محمود... ماذا أضافت
موسيقاه إلى أشعارك؟ هل تراه ذهب إلى أبعد من الكلام؟
• لقد منح قصائدي فرصة حياة مختلفة، وحررها من العيش
المؤبد بين دفني كتاب: ”بعبو لمارسيل بس مش دايماً بعرف قلوا!!“

آه، الآن تذكرت... أمس استمعت إلى أخبار جليلير يبكي،
هل تخبيه؟

- كما أحب فیروز وأزنافور وبريل...

"Et maintenant, que vais-je faire?

[وإلا، ماذا عساي أعمل عندما ترحلن؟] وأخبار "عندما مات

الشاعر" ...

Quand il est mort le poète...

الأولى سهلة، أما الثانية فأصعب! ماذا القول أخبار الشاعر؟

- [عندما مات الشاعر بكى أصدقاؤه ... وبكى

العالم.

دفنا نجحته في حقل واسع ... في حقل واسع من
القمح].

المطعم الصيني "قصر الترو كاديرو"

7, Avenue d'Eylau

مطعم فخم وهادئ يبعد خطوتين عن مترو الترو كاديرو
وبضم خطوات عن جادة كلبيرو.

• نسيت أن أسألكِ: هل تأكلين الصيني؟

(النادل مرحبًا... بالفرنسية):

- أهلاً موسيو درويش، طاولتك حاضرة، تفضل!

• درويش مستفسرًا (باللغة الفرنسية، المطعمة الإنكليزية):

موسيو، أعتذر عن سؤالي سلفاً، ولكن هل صحيح ألم
تعلّون لـها الكلاب والقطط؟

ارتعد الشيف من هول الاتهام: لا يا سيد العزيز، نحن
لا نأكل لا الكلاب ولا القطط ولا أي نوع من اللحوم غير
المعتمدة في فرنسا، اطمئن (...)

بعد التحقيق والمساءلة تابعنا كلامنا الآخر بهدوء،
وأقينا أنفسنا بصدقية الشيف:

– هل تأتي دوماً إلى هنا؟

• مع بعض الأصدقاء فقط، وغالباً ما أشتري "موايز" لبنانية
لي مطعم ميساك، الشيف الماهر لي تبيلة الكفعة... هو لا يبعد
كثيراً عن كلبي!

– أتأكل الطعام العربي عادة؟

• لا، بل أرحب في اكتشاف الأطعمة الجديدة، ولو كانت صينية!
بعد أن طلب أشكالاً وألواناً من كل الأصناف، سأله:
– هل تنتظر أحداً؟ من كل هذا الطعام؟

• إله لنا، وهل من أحد غيرنا؟

وراح يشرح لي خصائص كل طبق، فبدا لي خبراً في
الموضوع:

• "آلامت جوع"، لقد أعتبرني بأسئلتك الطويلة
الآن تفضل، هل تريدين لفخد كلب؟
دوى ضحكتنا في المطعم، وأضحكنا معنا زوجين عربين
كانا يجلسان إلى جانينا ويأكلان مثلانا بحدٍّ، ففهمما ما كان

يرمي إليه درويش. ببداية، تبادلا معه أطراف النكتة، ثم الحديث، إلى أن دعاهما ليشاركانا العشاء. وهكذا أمضينا معاً سهرة ممتعة تحدثنا خلالها عن باريس وهمومها، إلى أن فاجأني بسؤاله:

• ”بالعادة بتاكلني منبع؟ شو بطعمونك بالطاعم الجامعي؟“

- في هذه المطاعم المكتظة بالطلاب نأكل لنعيش، لا أكثر ولا أقل! لكن يحصل أن ندلل أنفسنا أحياناً، أنا وصديقي آدا، بالكووسكوس واللبن و... سلطة الأنديف. وأنت أستاذ محمود: ماذا تأكل في باريس؟ من يحضر لك الطعام؟

• العازب يغادر دالماً بين أصنافِ لليلة يقعن تحضيرها وموالده الطاعم. وفي النهاية، كلنا نشترى إلى طعامنا المترلي: ”آيام كثير أنا بحضر أكلني، وقريباً راح إعزمك إنت ورفيقك تدلووا بعض الأكلات من إيدىي“.

هنا سأله الرجل الغريب: أستاذنا، لم تكن تفضل العيش في دولة عربية؟

• أنا سعيد جداً في باريس . إنها مرحلة غريبة ومهمة في آن،

لها الجمال والتألُف والوحدة والهدوء والكسل الجميل. باريس
متالية للكتاب، وكانت أكون أكثر سعادة لولا السؤال:
ماذا بعد باريس؟ وحتى أنت - قال لي - سبقلك السؤال
عنه: مَاذَا بَعْدَ بَارِيسَ؟

ثم تابعنا حوارنا، بعد أن غادر الزوجان المطعم وشكرا
درويش على دعوته، فاستعدت طرف الحديث الذي
انقطع:

- أنت على الأقل، هل تعرف أين ستكون وجهتك
المقبلة بعد باريس؟

• رغماً تتحقق بدايَة عودتي بعد ستين أو ثلاث على الأقل.
شعور أثني لا يخذلكني.

- إلى فلسطين؟
• ”إِنْشَاءَ اللهِ كَلَّوْ يَرْتَبْ“

- هذا خبر رائع... ”بس في كثير عواصم رح
تشتقلك“.

• سأزور بيروت وباريس باستمرا، وسائر العواصم التي
عشْتُ فيها.

- ستعود إلى والدتك أخيراً؟ أمس قرأت عنها بين الأوراق.

لماذا كانت تضربك هكذا؟

• ”هي بس كانت تضريني؟ ولك أنا إللي كنت شقي. مرّات ضعـت ومرّات وقعت عن الحصان. كنت ولد زغير وجـرت جـيـبني، بـعـدو النـدب لـهـلـقـ“.

كشف لي عن جـيـبني، وكـم بـدا فـرـحـاً بـذـكـرـياتـهـ:

• ”كانوا الأولاد من زمان كـثارـ، ولـما الـواحد يـضـبـيعـ كانوا الأـهـلـ يـكـثـفـوا غـيـابـوـ بـعـدـ نـهـارـ كـامـلـ... وأـنـا كـمانـ بـعـمرـ ٥ـ سـنـينـ ضـعـتـ عـطـرـيقـ عـكـاـ. كان بـدـيـ أـلـحقـ أـمـيـ، وـما عـرـفـتـ إـرـجـعـ“.

- ولـما عـدـتـ إـلـىـ الـبـيـتـ فـيـ الـمـسـاءـ كانـواـ يـسـخـثـونـ عـنـكـ فـيـ الـآـبـارـ !!ـ أـمـكـ فـرـحـتـ أـولـاـ،
وـضـرـبـتـ قـالـيـاـ... آـهـ مـنـهـاـ

عـتبـناـ عـلـيـهـاـ غـيـابـياـ منـ بـجـرـدـ تـصـوـرـ المـشـهـدـ، ثـمـ تـابـعـ:
مـرـةـ زـارـتـيـ أـمـيـ، وـكـتـ حـمـاطـاـ بـعـضـ الـحرـسـ، فـسـأـلـتـيـ: مـنـ
هـوـلـاءـ؟ـ أـجـهـتهاـ:ـ حرـسـ!ـ لـجـاوـيـقـيـ:ـ اـتـبـهـ يـاـ بـنـيـ،ـ إـنـ قـرـرـتـ جـهـةـ ماـ
التـخلـصـ مـنـكـ وـاحـدـ مـنـ هـوـلـاءـ سـوـفـ يـقـعـلـكـاـ

- معها حق!! يدو أنك تشبهها في سخريتها!!

• إلى حدّ كبير (...)

- وبعدما انتقلت في حديثنا إلى سؤاله عن الحوار:

هل آتي غداً لأخذ الأجوبة كاملة؟

• أجب: "أكيد، وصار لازم ألهبها، لأنّي كثير مشغول
الأسبوع المقبل".

- تحضر لكتاب جديد؟

• حالياً ألهب قصيدة الرجل الأبيض والهندي الأحمر... وللي
الديوان، الدلس وكمنجات وشعاء ربّا الطويل (...)" رح يصلّر
بيروت فريباً عن دار الجديد".

لم نغادر المطعم قبل المفاجأة الأخيرة: الشاي بالياسمين.

• صحيح أنّ طعمه للدبد - قال - لكنّي أحب رائحته أكثر!

[كانت تولد في تلك الأثناء قصائد "أحد عشر كوكباً"،

وكان لي حظ روّية قصيدة "للحقيقة وجهان والثلج

أسود"، موزعة فوق مكتبته، حين عدت في اليوم التالي

لاستلام الأجوبة كاملة]

- "فتي إقرأ هالورقة؟"

- نهري بعصبية لافتة: ”آكيد لا، تعالى معى، ما انغير بطيلي الصفحات... أتركها“.
- ثم تابع مرتبكاً: ”خلصت موضوعك وفرحان بالأجوبة. إشاء الله تعالى محفظي منبع بالأوراق وما تضمنها“.
- ثم قرر أن يلقها بإحكام، في مغلق بلاستيكى: ”كى لا يللاها المطر ويلهب تعنى في تحرير ٢٦ ورقة سدى“.
- جميل أن تطبع كتاباً، كما قلت، يضم مخطوطات بخط يدك!
- صحيح، لكن لا وقت لدى لذلك.
- هل يمكن أن أهتم يوماً ما بنشر هذا الكتاب؟ قد يضم المخطوطة هذه، بالإضافة إلى الصور الفوتوغرافية التي رأيتها وأعجبتك. قد نضيف إليها صور باريس: ساحة منزلك، كليبير، بواسير، التروكادير، حائط الكنيسة، الحمامات الرمادية والمطر الذي تحب ومقعد الحديقة و... الأوصاف الخريفية والترو.
- ”ياريت، ليش لا؟“ لنشر الموضوع في المجلة أو أوسوف لرى.
- وتابع: ”مش مهم الصور المهم النص“

- أستاذ محمود، قل لي، كيف أشكرك؟

· الشكري في تحضير الشاي بالياسمين

وأنا أعد الشاي الذي حملناه معنا من المطعم الصيني:

- حياتك الباريسية شاعرية مرفهة. هل من مكان بعد

في يومياتك للحزن العادي؟

· يوميات حزني العادي لم تكن حزينة، بالمعنى التراجيدي.

كل ما كتبته من لصالح لم يولد من حزن أسود، بل من فرح

لما عض حزني لم يفارقني أبداً حتى هذا العمر.

- حتى في طفولتك، حين هجرت؟

· خصوصاً في طفولتي. لم أكن أشبه يوماً الأطفال المهاجرين،

لشعها مخالفة صعبة ولتجازها قريبة. الأطفال في قوالل التهجير لا

يهابون المخاطر كالآباء والأجداد.

- يعني كنت طفلاً سعيداً؟

· في فلسطين طبعاً، لم في لبنان، كانت حياتنا صعبة وإنما مكانتها

وغير مستحيلة. ذكرى الخسارة أصعب من حياة الخاسرين، وكما

كثبت لك، آلام الموت أصعب من الموت. الحزن حالة شديدة

الانهيار والغموض.

- ما أكثر ما يجعلك حزيناً؟

• بعد تفكير: يحزنني علم فلترتي حالياً على ترتيب علاقائي
بالطريقة التي أختناها. تصوري، يمكن أن أخلّي بسهولة عن
أشخاص رأيني أحبّهم، فقط لأنّي غير قادر على الاحتفاظ بهم
أو الاستمرار معهم.

- إذا كان التنازل عن أشخاص تحبّهم يحزنك، لماذا
تخلّي عنهم إذاً؟

• لأنّ كلّ ما يتحقق لا يعود حلماً... الشاعر أو الفنان يتحققون

خارج الحلم

- ألّهذا السبب لم تكرر تجربة الزواج؟

• بكلّ تأكيد، بالإضافة إلى أسباب أخرى. إلا إذا صادفت امرأة
إستثنائية تثير لي رأي في الموضوع، حينها فقط أتزوجها من دون
تفكير

- وكيف تكون المرأة استثنائية بنظرك؟

• إذا كانت ذكية شفالة وصامتة... روح تسرب على قدمين!!

- صامتة؟ يعني منوع تحكّي؟

• لا تبالوني، تعرّفين ما الذي أقصده... المرأة الثرثارة نكبة!

- والجمال، أليس شرطاً أساسياً؟

• مستدركاً: "كالك بتعملني معي حوار تاني؟" ثم تابع

مازحاً: "هيدا السؤال مش كثير ذكي... بعمرك شفتي شاعر

ما بشرف الجمال؟ بعدين ليش بتسألي؟ مالك وماي؟"

- فاجبته بكل جدية: "يعني، لازم أعرف نسبة

حظوظي".

وضحكتنا طويلاً من أسئلتي المحرجة له... تقابلها

أجوبته الكاريكاتورية الساخرة،

فارتايَتُ أن أختم بسؤال يحزن في قلبي:

- كيف تخبر امرأة تحبها أنك لم تعد ترغب في لقائهما؟

• مستغرباً السؤال: "وهل أنت من جمعية الدفاع عن حقوق

الحيوانات؟"

- أحب أن أعرف... ماذا تقول؟

• أنا لا أقول.

- هل جرحت نساء كثيرات؟

• لم أجرب إلا نفسي!!

كانت رائحة الشاي بالياسمين تعطر المكان، فاقتراح أن
نسمع بعض الأغانيات لفيفروز، وعلى وقع ”مرئت بالشوارع“
دخل مكتبه، ثم عاد منه وهو يرتب أوراقاً، كانت مبعثرة قبل
هنيهة فوق طاولته، ليقرأ لي مطلعًا حزينًا على دهرافي خيالي:
[للحقيقة وجهان، والثلج أسود فوق مدینتنا
لم نعد قادرين على اليأس أكثر مما يئسنا، والنهاية تشي إلى
السور والقلة من خطأها]
وبعد أن أوقف القراءة فجأة: ”حبّيتها؟“
– ”حبّيتها كثير“ ... لم نعد قادرين على اليأس أكثر
ما يئسنا:

”أستاذ محمود، شو في بعد اليأس؟“
”في ياس أكبر“ ...
وبعد أن غرق صامتاً في مقعده للحظات طويلة، كسرتُ
صمتنا وبحثت له بما يشبه الإعتراف :
– أتعلم؟ عندما كنتُ فتاة صغيرة حلمتُ، بسبب
يوميات أحد كبار وربما أيضاً بسبب الأغانيات التي
سمعها الآن، بأن الملحّ ولو للحظة واحدة، فإذا بكل

جمعية القديسين ترافق بي ويدعاني وتحقق لي أمنيتين:
الأولى أنك صنفت حلمي ووثقت به، والثانية أنك قبلت
أن تحقق أحلامي بك بكل رضا؛ فكتبت أمامي وتركتني
أبتعوْلُ في البيت، أبحث في أسرارك وصورك ولوحاتك،
[رغم ازعاجك الواضح من أن يبعث أحدهم
بأغراضك]

حضرت لي الطعام... والقهوة المرأة والبابونج والشاي
بالياسمين... أكثر من مرة، وبسرعة أسطورية رفعت
الكلفة بيتنا:

• هل تحضرن لي قهوة؟ [أحضرني معها الزنجبيل بالسكر]
أخيرئني، بفرح لا يعادله فرح، عن أمك حورية، أبيك
سليم، جدك حسين، وكل الأخوة والشقيقات وقلت
عنكم: "لعن نسبه بعضاً كالعوالم".

كنت كلما دعوتني إلى بيتك تتقصد أن تحذّاني بطاولة
الزهر (الزد)، وكنت تزعل ولا تصدق أنّ من نعمتها
بالـ"معدوبة" في لعبة "الفرنجية" كانت تغلبك دائمًا وأبدًا
بدهشها العجائبية والدبش والجوهار... وـ"توشك" لك،

وتباھي بانتصاراتها المتکررة عليك، فتھرد في كل مرّة
وتکرر:

لا فرمي كثيراً، إنها مسألة حظاً

معك حق، أستاذ محمود...

كانت مسألة حظ أن القالك ذات خريف باريسى، وان
تفتح لي، طوعاً، باب الحوار معك على مصراعيه، دون أي
مقدمات: زيارات وأحاديث ونzechات كنت خلالها تأبیط
ذراعي لتسمعني كلاماً، تمنى أي امرأة أن تسمعه!!

كم كنت سعيدة في تلك النزهات، في مسايا باريس
الفامضة، (كما كنت تصفها)، ولم أخف عنك سعادتي يوماً:

- [أين أنا؟ مع من؟ هل أحلم؟]

كنت تتضحك وتضحك... وأقرأ سعادتك، تولدت من
سعادتي الخيالية فيك.

مرة، حين فاجئنا رجل عربى ونحن نبحث في العتمة عن
زر مطفى الأزرق الذى سقط وضاع بين أوراق الرصيف:
- أستاذ محمود؟ هل هذا أنت؟ هل تبحث عن شيء؟

كيف أساعدك؟

أجبَتْهُ: لقد سقط قمر معطفها بين الأوراق،

ثم استدرَتْ واقتَرحتَ علَيَّ:

لمَ لا ترْكِهُ هنَا؟

أكملنا السيرَ معاً، وتركتنا خلفنا زر معطفِي الأزرق بين
أوراقِ الرصيف، رصيف بواسيير، لأسائلك للمرةِ الأولى:
- وأوراقنا؟ ماذا أفعلُ بها؟ ومتى؟

فردَدتْ أمامي كما في كل مرَّةٍ:

ليس الآن... خبيئها معكِ وحافظي عليها جيداً
أنتِ وحدكِ سعرفين متى يحين الوقتُ. ربما بعد ٢٠ عاماً أو
أكثر...

ليكن كتاباً آنيقاً، مكملاً بالصور أو الرسومات المناسبة، ولا
مبالغ من أن يضم ذكرى لزهاته في شوارع "السازيات" الغامضة،
فقط كي لا تنسى مثلنا.

هذه التزهات... قريباً وغيراً عليها الزمن،
 حينها لن أكون ... ولن تكوني.

بيروت، ٢٨ كانون الثاني ٢٠١٣

إيفانا مرشليان

سألت محمود درويش:

١- الأرض الأولى هي الأم الأولى. هي الحب الأول.
هي أيضاً الأغنية، التي ما أن ترافق ولادة أبنائها حتى تصبح
صورة حقيقة لوجه تلك الأرض. فلو ذهبت الأرض تبقى
الأغنية، وأغنية فلسطين اليوم هي الأرض الموعودة.
لو أعددت إلى ذاكرتك صورتك الأولى هناك،
آية مشاهد تلتقط؟
آية أحاسيس ترجع إليك؟
حدّثنا عن محمود ”الصغير والجميل“، كما تقول
في إحدى قصائده، وعن الريح، وعن سكانك جذوع
الحكايات والسنديان...

على أن أبعد عنه أكثر، في الزمان وفي المكان، أو أن أدنو منه
أكثر لكي أراه بشكل أوضح، ولكي أروي سيرته. فها هو ما زال
معي، أو في، يلدني بالصورة الأولى للأرض الأولى كما كانت، لا
كما أصبحت عليه. وما زال يحمل الأرض لعنة، وما زال يردع
من تدبيها. وما زال يعن للعودة إلى بيت الأرض الأول، أو إلى
أرض الأرض، إذا جاز التعبير.

والربيع... ما زالت هي الربيع، أنصب عليها خيامي التي لا
تتوقف عن الإفلاع. ما زالت تهبس من كل ناحية، وخاصة من
ناحية القلب، وكأنني لم أسكن شيئاً سوى الربيع التي هي تحبس
– كما كان تحبس يقول – أو فوقي كما أحياه أن أقول. هل
في الله ما يكفي من الأرض كي نعرف سكانا؟ ر بما كان في
هذا التعريف ما يبرر إستعمار الأغنية، ولكن للهوية هرطاً أكثر
صلاحية، إله شرط الأرض. هل تبقى الأرض إذا ذهبت الأغنية؟
أو على العكس؟

لأرغب، أبداً، في النظر إلى مادية الأرض وإلى معانيها من هذا

المنظور. كذلك لا أرحب في النظر إلى سماء الأغنية من منظور هذا النمط. وإنما، لتحول الصراع الإنساني كلّه إلى سباق على إنماط الهزيمة، على خسارة الواقع من أجل كسب التعبير عن الواقع المفقود أو الأرض المفقودة.

لا، لست شاعراً عبيداً إلى هذا الحد، فانا أريد الأرض وأريد الأغنية أسوة بجميع سكان الكورة الأرضية.

أما الذي يحملني وأحمله، الطفل الذي كبر كثيراً وصار "أنا"، فإنني أريد أن أرجعه إلى أمه، إلى بيته على أرضه، حتى لو لم يعد لا صغيراً... ولا جميلاً... وليلعب هناك كما يشاء على جدول الحكايات والسنديان، وليلعب في اللغة إذا أراد هناك، أو في أي مكان آخر. فعندئذ، عندما يعود يصير قادراً على الرحيل الحرّ من الأرض الموعودة إلى الأغنية الموعودة...

٢ - «أنا أعرف - تقول - أن الأرض أمي...»

تركت وجهك فوق منديلها، حملت الجبال في ذاكرتك
ورحلت.

وحين راودتك أحلام العودة كتبت: «يا أمنا انتظري،
إتنا عائدون»...

فكأنك لا تريد من بلادك التي ذبحتكم غير منديل أمك
وأسباب موتِ جديد. تحنُّ إلى قهوتها، إلى لمسة يدها وإلى
خطيب يلوح في ذيل ثوبها. إنَّ كل قصيدة تتناول أمك بجدك
فيها «سيد الحزن» من دون منازع. وكأنك تحلم باسترجاج
الأرض، فقط لتهديها إياها، لتحقق لها حلم العودة.
ماذا تروي لنا عن أمك، سرّ قصيقتك وحاملة نجوم
طفولتك؟

أمي هي إمي. ولو استطعت أن أفك خصرها وضفائرها من لعنة الرموز لفعلت. نعم، تركت وجهي على منديلها، لأنني خارجها أقصد ملامحي. وعندما لا أطلب من كل هذا المأساوي، الذي هو ما يدور في بلادي وعليها، غير منديل أمي، فالأنني أسعى لاسترداد ملامحي الأولى، لاسترداد إنسانيتي في صورتي كما هي، لا كما ترسمها الجريمة الكبيرة التي أرتكبت في بلادي من ناحية، ولا كما ترسمها البطولة من ناحية أخرى.

في أمي، كل معانٍ، ذاكرة الأرض الفلسطينية ومشهد تاريخها المتتابع، والثابت على مرأى من تحول الزمني وبقاء الروحى. والأرض، التي هي أمي، هي الأرض ذات الفصول الأربع، ذات البحر الأبيض ذات البحر الميت، هي الخارطة الحية لكل الشجر والغصب والزهور والثلم. هي الباقي، وكأنما بلا إكثار بالعبيرين من الفرازة حتى لو صار بعضهم آباء أو إدعوا الأبوة. ولكنها هي بأموتها التي لا يشك بها مؤرخ أو طبيب أو مهندس زراعي، هي أمي.

لست سيدة المخرن في حضرتها، فهي، في تحررها من رموزها،
سيدة قوية، وقاسية أحياناً، وليس في وسع الآباء أن يكون سيد
أي شيء في حضرة أم قاسية. كنت أظن، وأنا صغير، أنها لا تخبني.
لا أذكر قبلاً لها وهداياها إلا في سجني الأول. وبعدما
تكررت سجوني تكررت زيارتها وقبلاً لها وهداياها، لأدرك أن
وراء قسوتها المصطنعة أمّا عاطفية، هشة، وجميلة، ولكنها أيضاً
لاذعة في السخرية. وعندما قابلتها، قبل أشهر في القاهرة، عثرت
فيها على راوية بارعة... لا توقف عن نقد السياسة والسياسيين.
وحين عاتبها: لماذا كنت تضربيني كثيراً وتحمليني المسؤولية عن
كل ما يجري في الحارة؟ ضحكت نوحى لي بأنني كنت جائحة
وكتير الدك. وعندما سألتها إن كنت سأعود إليها في بيتها، رفعت
دعواها إلى الله وأضافت: إن غرفتك ما زالت كما تركتها، بمكتبتها
ولوحاتها، لكننا أضفنا إليها صور زوجاتك وأنزلناها، فلم تثبت
الصورة الأخيرة؟ وطالبتني بأن أتجنب طفلاؤرسله إليها.
وقالت: صحيح، إن البيت لم يغادر. ولكن كل شيء خارجه
قد تغير.

٣ - من بين النساء، تذكر دوماً ريتا ونذكرها.

ريتا... في قصائد لديك وأغنية: ”ريتا، عيناك ضائعتان
في صمتِي وجسمِك حافل بالصيف والموت الجميل“...
ريتا التي تهرب، ولا يتعيلك في الليل إلا صمتها حين يمتد
 أمام البيت كالشارع، كالحبي القديم.

من هي ريتا، التي كُسّتها المدينة مع باقي المغنين والتي
لا تزال صورتها تأتيك بعد ثلاثين عاماً مع سبلة أكملت
عمرها في البريد، وراء الخريف البعيد؟

ريعا، ليست اسم امرأة. هي اسم شعري لصراع الحب في
وائع الطرف. هي اسم لعناد جسلدين في غرفة محاصرة بالبنادق.
هي الشهوة المتحلّرة من الحنف والمعزّلة دفاعاً عن بقاء كل من
الجسلدين في طرف يبحار بان لمّه خارج العنادق.
منذ خمسة وعشرين عاماً يوقظ الشعاء موقع ذلك الوجع،
حيث لسعتي الألثني. لا، لم يكن حسناً، بل فهو ما كان حادلاً ومفارقاً،
واصحاباً لإنسانية الجسد في تحرّره من الوعي.
كأنّها، كأنّ هذا الاسم كان يلتفّي، بعد الصهيل، ذلك الصمت
المهد العميد الذي يأخذ كل واحد منها إلى منفاه الذي لا يتجاوز
مع منفه الآخر. كان يلتفّي بلطف لا أفهم منها غير اشتراها وتلاشي
الظل في الظلام. ولكن الدعمي ملكية الزرقة ذاتها.
لم يكن لي وسعة هذه الرغبة أن تتحقق للرياح حسناً. كان عليها أن
تحرق وأن تحرقنا. وكان على كناسى الشوارع أن يكتسوا الحادلة
ومدنّها في الصباح.
لا لأن حكليات شهرزاد قد التهت، بل لأنّها قد بدأت. ولأنّه

لَمْ يُلْيِ وَسْعَ الْجَسْدِ أَنْ يُسْرِقَ الْجَسْدَ كُلُّهُ، عَلَى مَرَأَيِّي مِنْ بَنَادِقِ
الْمَرَاسِ.

وَلَكِنْ، مَنْ هُنْ رِبَّاتِنَا؟ سَأَبْحَثُ عَنْهُمْ مَرَةً أُخْرَى لِي جَسْدِي،
وَرِبَّاتِنَا تَسْتَطِعُونَ نَصْبِدَةَ مَا أَنْ تَجْلِدُهَا... رِبَّاتِنَا

٤ - البعد، التشرد، الحنين... شكلٌ من أشكال الموت
لديك، لكن آلام الموت أصعب من الموت بحد ذاته. لذا
قلت: «أيتها البلاد القاسية كالنعايس، قولي مرة واحدة
انتهى جبنا، لكي يصبح قادرًا على الموت والرحيل. موتي
لأرثيك أو كوني زوجتي لأعرفُ الخيانة مرة واحدة»...
كيف تعيش تجربتي المسافة والوصول؟
أهال الموت احتجاجاً؟ «إني قابل للموت كالصاعقة»،
أم بالأمل والانتظار؟ «زنزاناتي وجدت على سطحها
وجه حريتي»،
أم بالاستقالة؟ «آن لي أن أرحل اليوم وأن أهرب من
هذا الزحام، وأغنى في الجليل للعاصافير التي تسكن عش
المستحيل... ولهذا أستقيل أستقيل أستقيل؟»

بقدر ما نحتاج إلى الشعر وإلى حب الشعر، نحتاج أيضاً إلى بعض الخدر من الشعر. فهذا الفامض الجميل، هذا السيد المطلق للكلمات في إعادة إنتاج جديد لدلائلها، قد يغرينا بالقدرة على حل مشاكل الوجود لنفسها، ومنها سؤال الموت الذي يحوله إلى لعبة متعددة الوجوه، وفي مقدمتها الوجه الرمزي.

لكن الموت هو الموت. والموت حقيقي أكثر من الشعر الذي أعد نفسه، منذ بدايته، لصارعة الموت. لقد جربت آلام الموت وجربت الموت أيضاً، فوجدته سهلاً. ووجدت أن ما يو جمعنا في الموت ليس هو الموت بل آلام الموت. لقد قالت، ساعات، قبل أن أنام هادئاً على لطنه أبيض، ولكن حين عاد إلى الوجع أنياني طيب القلب بأن ذلك الوجع كان وجع العودة إلى الحياة بعدهما توقف للبي عن العمل لمدة دقيقتين.

إن سؤالك مرّكب بطريقـة لا تؤهـلني لأن أفهم ماذا تريـدين مني بعد الحديث عن الموت. تجربـة المسـافة وتجربـة الوصـول؟ صحيح أن المسـافة تفتح أفقـ المشـهد على روـية الفـضل حين نـرى أنفسـنا

وأشياعنا ووالقعا المحدد رؤية كلية. ولكن هذه المسافة لن تكون إلا العي إذا لم تهدف إلى الوصول. أي وصول؟ إلى الوراء أم إلى الأمام؟ هذا هي، نسي. لكم من وراء كان أماماً في عالم دالري. لكن الوصول هو الهدف سواء كان الوصول إلى القصيدة، أو الوطن، أو السلطة، أو المرأة.

لهمـا يعنيـني أعيش تجربة المسـافة من أجل الوصول بـواسـطة الحـركة، على مـختلف مـسـعـياتـها، الحـركة فيـالـعمل، وفيـالـلغـة، وفيـالـنشـاطـالـفرـديـوالـجمـاعـيـ. وـعلىـهـذهـالـمسـافـةـ،ـنـتـرـكـآـلـارـناـ،ـالـكـسـارـاتـناـ،ـوـقـوـدـآـمـالـناـ،ـوـصـمـودـناـ،ـوـهـيـادـتـناـعـلـىـذـاتـناـوـعـلـىـعـصـرـناـ،ـوـعـلـىـإـسـالـيـاتـناـ.ـوـأـلـاـ،ـرـيـاـأـتـرـكـقصـالـدـيـعـلـىـطـرـيقـالـدـيـلـاـيـعـنـيـعـلـمـوـصـولـهـ،ـدـالـمـأـعـلـمـصـواـبـهـ.ـوـمـعـذـلـكـ،ـفـإـنـيـأـعـقـدـ،ـكـمـاـقـلـتـذـاتـمـرـةـ،ـأـنـالـبـيـتـأـجـمـلـمـنـالـطـرـيقـإـلـىـالـبـيـتـ.

٥ - «لا هوية إلا الخيام - كبَّتْ - إذا احترقت ضاحِع
منك الوطن».

والخيمة في الشعر، كالغجرية بين النساء،
لا أرض لها ولا وطن.
في غيابك الآني عن وطنك،
فوق أي أرض اخترت أن تعيش؟

ليست خيمتي مسحارة من بناء الشعر العربي القديم، أي ليست
خيمتي خيمة شعرية، ولا هي الفجرية الجميلة بين النساء، ولا هي
خيمة الفاتحين، ولا خيمة الأمر الذهاب إلى الصيد في الصحراء.
خيمتي هي أحد أسماء بوئس شعبي. هي أحد عناوين المصور
الماساوي جزء كثير من شعبي لا يستطيع العودة إلى وطنه من جهة،
ولا يستطيع الانسماج في ملأه أو بين يدي عشيرته من جهة ثانية.
وحين قلت: «لا هوية إلا الحلم... إذا احترقت ضاحك تلك
الوطن» كتبت أغير عن سهرية اتحداجية من خطاب قومي حدد
هوية الفلسطيني بضرورة صيانة بوئسه، بينما هدف الحركة الوطنية
الفلسطينية هو صيانة إنسانية الفلسطيني وكرامته، وتطوير
التعبر عن حقه في العودة والدررها على إنجاز هذا الحق، ولذلك
فأن التخلص من ظاهرة المغتيم الراهدة هو أحد أهداف العمل
الفلسطيني.

على أي أرض انحورت أن أغيش؟ إن المصادرات هي التي تقللي
من أرض إلى أرض في هذه القراءة: من القاهرة، إلى بيروت، إلى

مورس، إلى أوروبا. ولكن الأرض التي إخترت أن أعيش فيها،
هي الأرض التي أورثني إياها أجدادي، كما أورثوني لغتي، وهي
الارض التي يكرس أبناءوهم وأحفادهم وأحفاد أحفادهم حياتهم
من أجل اسردادها، هي أرض فلسطين... أرض أبي وأمي،
وأرض قصائدي...

أما إذا كان سوالك يطالبني بالجلوس على كرسي الاعتراف،
فإليس أعرف بأنني نادم على الخروج من حيّها، على الوشم من أن
قرار محروم لم يكن حراً. نعم، كان يدهي عليَّ أن أبقى في السجن
هناك حتى لو كتبت شعراً ذا قيمة أقل!

٦ - عشت في بيروت فترة عشر سنوات. لكننا لا
نعرف الكثير عن حياتك هناك باستثناء ما ورد في بعض
القصائد، كقصيدة “بيروت” و” مدح الظل العالي ”،
حيث كتبت مودعاً:
“أنا أسميكِ الوداع ... ولا أودع إلا نفسي ”.
بعد سنوات على رحيلك عن المدينة تعود إليها اليوم
وبشكل ملفت، في أغانيات كبيرة تبني قصائدك ...
بأي قلب تذكر بيروت؟
وبأي قلب تذكرك بيروت؟

عشت في بيروت عشر سنين كانت كافية لأن أغير عن حمي الإنساني أكثر لبيروت، لو لا صفتني الوطنية التي قد تخدش من يعتقدون أن التعبير عن حب بيروت يعكس لذة في التوطين.

مع ذلك، كتبت كثيراً عن هذه المدينة التي توقع زائرها في حالة الإدمان العاطفي عليها. ولأن بيروت أكثر من مدينة، في كل شارع مدينة، فإن كل واحد منا يبحث عن نفسه ويجدها في مرآة بيروت، دون أن يعي أن بيروت ليست هنا. وإنه هو ليس في بيروت بقدر ما هو مقيم في صورتها التي شارك في رسمها.

هل كانت بيروت جزيرة للكلام المختلف؟ هل كانت لوحة معلقة على كثيب من رمل؟ لقد دفعت ثمن هذا التميز وهذا الوصف، لا شيء إلاّ لكي تدخل في حظيرة المساواة، ولكي ترتاح تل أبيض من محاكمة المقارنة التي ليست في مصلحتها.

كان لم يكن من الطبيعي أن تخفظ بيروت بمكانها المعنوية. كانه كان من الطبيعي أن تنهار ليختفي الخاص لدينا عن مسرح العام.

لكن بيروت لم تكتب بعد. لقد عشت فيها منذ بدايات الاحتقان

الذى أدى إلى الحرب الأهلية، لذلك فإن تجربتي لها هي تجربة الشاهد على الهبارات، وعلى رحيل لا مطرّ منه. لقد رأيت رحيلى الجماعي قبل الرحيل، وكتبت للodi الذاتي، وكتبت حتى أيضاً. وأعترف: لم أنخرط كلوراني الوعود الغي وعدت بها الأطراف للسها على مصيرها في بيروت وعلى مصير بيروت في مشariesها. لم أر، وذلك ما عرضني للنقد من مختلف الأطراف، غير مشهد الساق إلى الهاوية. ولكن، كان عليّ لأنّهم من الهاوية. كان عليّ أن أهبط إلى الهاوية. ولم تكن السياسة، وحلها، هي المعرض. كانت الفضالة سياسية أكثر من السياسة.

لم يكن في حياتي الخاصة ما يلخصني الترافق عنده. لقد توطدت علاقاتي الشخصية مع الشعراء والأدباء اللبنانيين والعرب المقيمين في بيروت. كنت أزور الكلي الألاقة أنسى الحاج، أسبوعاً في الهار. وكانت أدير مجلة "هرون للطبيعة" ومركز الأبحاث. ولما سعدنا بعض النزوات الشخصية والشعرية، لم يكن في حياتي الشخصية ما يسعّق الرواية، فقد كنت أحبّ بيروت، وأاحذر من لاليها ومن قلب مزاجها الأدبي والفكري والسياسي. وكانت قبل هذا وذلك بعيداً عن حربها.

٧ - في "سرحان يشرب القهوة" قرأتنا:
"رائحة البن جغرافيَا، رائحة البن بد... ورائحة البن
ناي تزغرد فيه مياه المزاريب"... وفي "ذاكرة للنسوان"
كتبت نصاً طويلاً، من بيروت الثمانينات المحاصرة
بالدبابات، متمنياً هدنة لخمس دقائق من أجل القهوة...
ووَالآن في بيتك، بعدما طلبت منك - احتراماً - أن أعد
قهورتنا بنفسِي، لغياب العنصر النسائي فيه، أجبتني مانعاً
ومعتقداً بمهارتك الفنية في إعدادها:
"قهوة البيت أنا من يحضرها دائمًا... ويقدمها".
لماذا كل هذا الحب والدلال للقهوة؟ اللونها، لرائحتها
أم لأنها الضيف الخفيف الصامت، المرادف لوحدتك؟

لن أخُص، هنا، نصي الطويل عن القهوة. إذ يبدو لي أنه معروف بما فيه الكفاية. ولا أتواضع لأن أحادثي القول إنه نص جديد في الكتابة العربية.

القهوة ليست لوناً أو رائحة فقط، ولن يست مرادفاً للوحدة، ففي وسعنا أن نحدّد موعداً لمحسي القهوة. وفي وسعنا أيضاً أن يطئ الكثير من الرغبات في دعوة رجل امرأة أو في دعوة امرأة رجل لتناول القهوة. ففي هذه الدعوة تراطّ، إذا شئنا، على التعبير عن شيء آخر. في القهوة، إذا، كتامة. وهذا مالم أقله، ويا لمني قلته، في نصي المشار إليه.

والقهوة عادة، فردية وجماعية. ومع نجحان القهوة الأولى، وهو نداء عضوي، لتفريح نداءات أخرى، منها نداء الإدمان على التدخين ولنداء البحث عن الجريدة، ولنداء الفاكس من هوية الماخ، فكلما كان شكل الصباح أصفى كلما احتسينا القهوة بإستمتاع وعلى مهل. أما إذا كانت السماء رمادية، فأننا لمجرّع القهوة، وقد لا نرى منها إلا لونها. والقهوة الأولى، كما قلت، يعكرها

الصوت. هي، هنا، مرادفة للوحدة. وقهوتي الأولى لا تقبل أي صوت، لا صوت الراديو، ولا صوت الهاتف، ولا صوت حبيبي، إذا وجدت في البيت.

والقهوة الأولى هي أول دقيقة في الوقت. قبلها يكون الزمن نائماً. قبلها يكون كل شيء في حالة موت. نعم، القهوة لون، ورائحة، ومذاق، ووحدة، وجماعة، وتأمل، وفتح، ونافذة مفتوحة للشمس وللهواء، ويد بعيدة، وناري ينادي البعيد. ولكنها، قبل ذلك، هي أول خطوة أخطرها نحو حياتي ...

[هل تريدين فجأة قهوة؟ فالساعة الآن هي السادسة بعد الظهر، وليس هناك من سبب يدعوك لأن تخافي على صفاء القهوة من الكلام. فالقهوة الآن تحمل الصوت]

٨ - أستاذ محمود...

لماذا الشعر؟ وماذا يبقى منك خارجك؟

لماذا الشعر؟ لأنني أستطيع أن أقول له وأن أ فعل له ما لا
أستطيع قوله أو فعله خارج الشعر.

فلو فعلنا وقلنا خارج الشعر ما نفعل ونقول داخله، لهذا
الشعراء عصابة من المجرمين والمجاين.

تصورني لو أنتي مشيت عارياً في الشارع، أو تصوريتني أقول
بلرسون المقرب: “اعطني لتجانأً من القهوة تزغّر في مياه
الماري”^١

لا أستطيع في القصيدة إلا أن أكون حراً. ولا أستطيع أن أكون
حراً إلا إذا كنت عارياً تماماً من الأقمعة، ومن الأهداف، ومن
الطاليد، ومن المحرية ذاتها.

أما ما يبقى مني خارج الشعر فهو: القناع، والهدف،
والوروث، وهرط المحرية.
ولقد يكون ذلك أفضل.

ولكن إسمعي هذه النصيحة من إنسان يدخل إلى الشعر
ويخرج منه: إن بعض الأسئلة مهروس بالفارقة، كسؤالك

هذا - وهو سؤال جميل لأنّه يريد أن يوسع التناقض، أو العارض، بين الداخل الشاعر وخارجـه.

ولكن، علينا أن نذكر دائمًا أو أحياناً كما تثنين، أنه لا وجود للداخل من دون الخارج. ليس لي ما أجدـه داخلـ الشعر إذا لم أكن معلـناً بالخارج: بالواقع، بالنـاس، بالتـاريخ، بالطـبيعة وغـيرـها.

وللـداخل أن يركـب كـيمـاء داخـله الـخاص والـسرـي، بـطـريـقـةـ التي لا تفهم آلـيـةـ عملـها، مع العـناـصـرـ الـقادـمةـ منـ الـخـارـجـ والمـكـونـةـ أيضـاً لـعـلـلةـ الدـاخـلـ بهاـ.

أما كـيفـ يـتـجـلـيـ الدـاخـلـ داخـلاً مـسـتـقـلاًـ عـنـ عـنـاصـرـ تـكـوـيـتهـ

الـخـارـجـيةـ، فـتـلـكـ إـحـدـىـ أـسـرـارـ خـصـوصـيـةـ كـلـ وـاحـدـ مـنـاـ.ـ منـ

الـطـبـيـعـيـ أنـ يـنـحـرـجـ الدـاخـلـ بـعـالـمـهـ الـخـاصـ، قـصـيدـتـهـ، إـلـىـ الـخـارـجـ

عـمـلـلـاـعـهـ.ـ وـلـكـنـهـ لـوـمـ يـكـنـ مـنـهـ مـاـ إـخـلـفـ عـنـهـ.ـ وـلـيـسـ فـيـ وـسـعـ

الـشـاعـرـ أـنـ يـكـونـ شـاعـرـاـ دـالـماـ.

أنـ مـاـ يـعـقـبـ مـنـ خـارـجـ الشـعـرـ هوـ قـابـلـيـتاـ المـوـتـرـةـ لـتـحـوـيلـ خـارـجـ

إـلـىـ مـادـةـ يـهـضـمـهـ الدـاخـلـ، أـيـ إـلـىـ تـحـوـيلـ الـوـاقـعـ الـلـاـشـعـرـيـ إـلـىـ حـالـةـ

شـعـرـيـةـ...ـ

٩ - منذ ”أوراق الزيتون“ إلى ”أرى ما أريد“، آخر
دواوينك اليوم،
من كتب ويكتب قصيتك؟
أنت وحدك أم أنها جماعة من لحمك ودمك تنطق
باسمها تشاركك كتابتها؟
الاتخاف على قصيتك من الأصوات الواجب تمثيلها
دوماً؟
لم نقرأ لك مرة قصيدة حب واحدة كانت غاية لذاتها
وتؤمن مجانية ما يحصل حولها ولا تعبر إلا عن ذاتها بعيداً
عن الهموم الجماعية...
الا يقللوك ذلك؟

هنا أيضاً، نواصل جدلية السؤال السابق، لأنني أضيف: إن الواحد هو ابن الجماعة. وللدار، لم يقرأ نصاً شعرياً لأدم الذي كانت حواء أكثراً شاعرية منه لأنها كانت لغاج جماعته. الفراغ الإنساني لا يكتب غير الفراغ. ولو لم يخلق الله البشر لما كتب لهم.

ليس هناك من شاعر مقطوع عن تاريخه الإنساني والثقافي وعن جماعته، مهما كانت أو صفت، وعن واقعه. لأن الكتابة والقراءة هما عملية اجتماعية محددة بشروط تاريخية. فلماذا نلقى على ألسنتنا، وفي حلقة تاريخية، عبء أسلطة التاريخ البشري والروحي بكلماتها؟ لماذا نبدأ التاريخ من لحظة ما قبل التكون؟

الكي نقول أكثر من أن الشاعر هو سيد الكلمات الحرة؟

لست وحيداً إلى هذا الحد. وليس كيدي الشعري بإصناعياً إلى الحد الذي أقول معه إني أسعير التضامن مع جماعتي. لأن سيرتي الخاصة هي سيرتها، ولأن لحيتي هي لعنها، ولأن تاريخي الوطني والثقافي هو تاريخها في الدمج مع التاريخ الإنساني العام.

وليس من واجبي أن أمثلها، لأننا لا أحبت أن أمثل أحداً، ولا

أستطيع أن أمثل غير الزحام الذي يزدحم في نفسي، في لوهاته
ولفي تناقضاته. حتى نفسي لا أدعني غشلها بقدر ما هي متحركة.
ولا أصطدم مع نفسي ومع جماعتي، دائمًا، في ما يتعلّق بطريقة
لهمي لطبيعة الشعر، وبطريقة فهمي لعلاقة الـ”أنا“ بالآخر،
ولعلاقة القصيدة الجديدة بالذائقة الجماعية العامة؟ نعم. إن ذلك
يحدث مراراً دون أن أتوقف عن تطوير الشاعر في حتى لو دفع
به إلى الغلة عن لحظة الذوق العام الراهنة، والقابلة دائمًا للتتطور.
من ”سجل أنا عربي“ إلى ”الهدهد“ ماذا حدث لي وماذا حدث
لجماعتي؟ لقد تغيرنا معاً، ولو بوتأثير مختلف.

من الضوري أن تعرفي، دون أن تعرفي، أن الشاعر وهو
يكتب لا يكتب لأحد أو إلى أحد. أن لا وعيه يملّى عليه، بحرية
مطلقة، ما يخترنـه من وعي. ليس هناك من صوت للجماعة إلا
إذا وجدت الجماعة صوتها الجماعي في صوت الفرد. إن ذلك
التلاقي يتم بعد عملية الكتابة. لماذا يفعل الشاعر حين يجد الناس
في صوته الفردي مرايا صوتهم الجماعي؟ هل يحتاج عليهم أم
يعخل؟

إن أحفل حين أرى أن مجانية تحولت إلى ضرورة.

١٠ - ما دور المصادفة التاريخية والسياسية، التي تكون
عاملأً في إبراز شاعر دون سواه؟
كيف تحارب تلك الصدفة، التي ما إن أوصلتك حتى
حملتك عبه، ما أوصلتك إليه؟
أنا أرى أن أجمل قصيدة لم تكتبها بعد!

بدأت أشعر بالتعب. أعني من الأسئلة لا من المصادفة.
لقد اختار الآباء أبناءهم. ولكن لم يختار أحد من الأبناء آباء
أو أمه.

ماذا كنت سأفعل لو ولدت من أبي سويدي ومن أم يونانية،
وكان مسقط رأسي لندن؟ كنت سأقبل الحياة كما وهبتني إياها
الحياة. وكنت سأغوص، باللغة الإنجليزية، في البحث عن جذوري
القائلية الإغريقية، وعن حقيقة أبي السويدي. أليس كذلك؟
لماذا تكون المسألة طبيعية هناك، مع أنها أكثر أشكالية؟ وتكون
إشكالية هنا، مع أنها طبيعية إلى أقصى درجات البساطة؟
لقد ولدت من أبي وأم عربين على أرض فلسطين. فلماذا
أحارب هذه المصادفة؟ لماذا أحتج، لماذاأشكو من هذا الإرث؟
لعل في التاريخ من القسوة ما يجعل وارث الأرض وارثاً للصلب
أيضاً.

لا أستطيع التدخل في ما لا أستطيع التدخل فيه، وهو المصادفة
التاريخية.

أنا من هناك - هذا هو تاري^يخي

أنا من هناك - هذه هي لغتي

أنا من هناك - هذا هو مصربي

أنا من هناك - هذا هو أنا

أما أجمل قصيدة، فإن أحداً لم يكتبها بعد، لا من ولد هنا، ولا
من ولد هناك. لا من ولد أمس، ولا من يولد الآن، ولا من يولد
غداً...

إن أجمل قصيدة لن تكتب أبداً... أبداً...

١١ - تأكيداً على ذلك، نشعر كأنك كتبت قصيدة
واحدة، لتقول شيئاً واحداً، لامرأة واحدة، ولتدخل على
عدو واحد...
لو تحررت فلسطين، وانتهت فصول المأساة الفلسطينية،
أي شكل سترتديه قصيتك الجديدة؟

الموضوع هو، شعراً، ذريعة لكتابة الشعر...
أما إذا كنت تشعر بـما تقولين، وكتت معاكدة من ذلك، لهذا
يعني لي أسوأ الأحوال أن الشاعر، مهما كتب، لا يكتب غير شيء
واحد في قصيدة واحدة حتى لو استغرقه الوصول إلى هذا القول
في هذه القصيدة آلاف القصائد التمهيدية...
وهو يعني، في أحسن الأحوال، أنني لست شاعراً جيداً. وهذا
الإحتمال، بالطبع، خير من الإحتمال الأول.
ولو لكن...

إذا كان السؤال معطوفاً على ما سبق من كلام عن المصادفة
التاريخية، فليس في وسعنا أن نعالج هذه المسألة المساوية إلى قراءة
الرمل: ماذا لو... ماذا لو...
ماذا؟ لا أحد يعرف. ولكنني أعرف أن البعض، وخاصة من
الخصوم السياسيين، يتظرون موت قصيبي مع موت غربتي ما
دلت هنا، ويتظرون موت قصيبي مع انهيار جدران سجنني لو
كت بقيت هناك.

صدقني أنتي لا أهتم بهذا التجيم، ما دمت لا أضع الشعر
منافياً للحرية. ولكن، هل سيتغير شكل قصيدتي؟ لا أعرف، على
الرغم من أن هذا الشكل الذي أبلوره الآن، بعلاقته بسؤال الشعر
 وبالبحث عن القصيدة الشاملة، لا يبدو لي أنه سيتغير، إلا بقدر
ما سيتطور.

إن انتهاء المأساة الفلسطينية لا يوقف سؤال الإنسان الفلسطيني
عن هويته الثقافية وعن دوره الإنساني، وعن وجوده، ولا ينهي
السؤال الإنساني في الإنسان. إن الإنسان فيما لن يموت عندما
نتحرر، ولكنه سيجد مكانه الطبيعي لكي يتظاهر. وهناك ستجد
الناخ الملائم لقراءة الشعر وكتابته ومحاكمته بأدوات أكثر جمالية،
وأقل وطنية بمعنى الرائق للكلمة...

١٢ - ”كل حرب - تقول - تعلمـنا أن نحب الطبيعة
أكثر. بعد الحصار نعتـني بالزنابق أكثر. نقطـف قطن الحنان
من اللوز في شهر آذار، نزرع الغارـدـنـيا في الرـخـام ونسـقـي
نبـاتـاتـ جـيـرـاـنـا...“.

كان حـيـاتـكـ الآـنـيـةـ،ـ الرـقـيقـةـ كـبـاضـ الزـنـابـقـ مـرـحـلـةـ
مـوـقـعـةـ،ـ تـؤـكـدـ دـوـمـاـ أـنـهـ سـتـتـهـيـ لـاـ محـالـةـ إـلـىـ الرـجـوعـ.ـ فـيـهاـ
بنـيـتـ قـصـائـدـ وـمـدـدـتـهاـ جـسـرـاـ لـلـعـائـدـيـنـ،ـ وـفـرـشـتـ لـهـمـ الدـنـيـاـ
انتـظـارـاـ.

الـأـلـاـ تـخـافـ مـنـ خـيـيـةـ الـأـمـلـ؟ـ الـأـلـاـ تـخـافـ عـلـىـ قـصـيـدـتـكـ
إـنـ هـيـ بـقـيـتـ أـجـيـالـاـ أـخـرىـ مـعـلـقـةـ فـوـقـ آـمـالـ الـعـائـدـيـنـ
وـخـيـيـاتـهـمـ؟ـ

لم يعد هناك ما يكفي من الوهم للأخاف خيبة الأمل، فالعقد
الأخير من هذا القرن العاصف علمنا أن نفتح باب المغامرة لكافة
الإحتمالات. وعلمنا أنه ليس للهواية من قرار. وعلمنا لأن نفرح
أو نغضب بما يقدمه لنا الواقع التاريخي من مفاجآت.

كان علينا أن نركب عقلاً آخر لكي نتحمل صدمة المفاجآت،
ولكي نتكيف مع متطلبات فهم العالم الفوضوي الجديد.

كل شيء، إذاً، مؤقت ما دام التاريخ في حالة تغيير عام، وما دام
عشراً إلى هذا الحد. ومع ذلك، ما زال في وسعي أن أحلم، ما
زال في وسعي أن أواجه صدمة الواقع بصدمة شعرية هي الوحيدة
الكليلة بغير حيائي. ما زال في وسعي أنأشهد على أكثر من
تاريخ عشته وأعيشه في لحظة واحدة.

ماذا يبقى من كل ذلك؟

لا أعرف. وربما لا أريد أن أعرف،

لليس في قلبي مكان لطعنة جديدة.

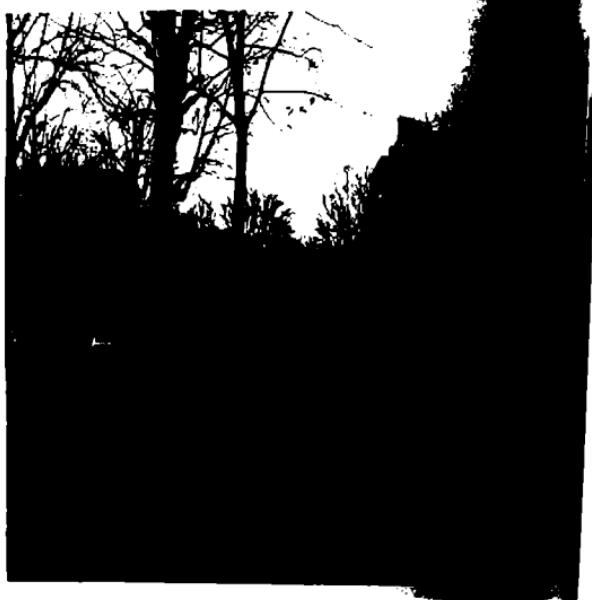
لأنني أرى بعيني سقوط ما كتبته على الورق وعلى الجدران

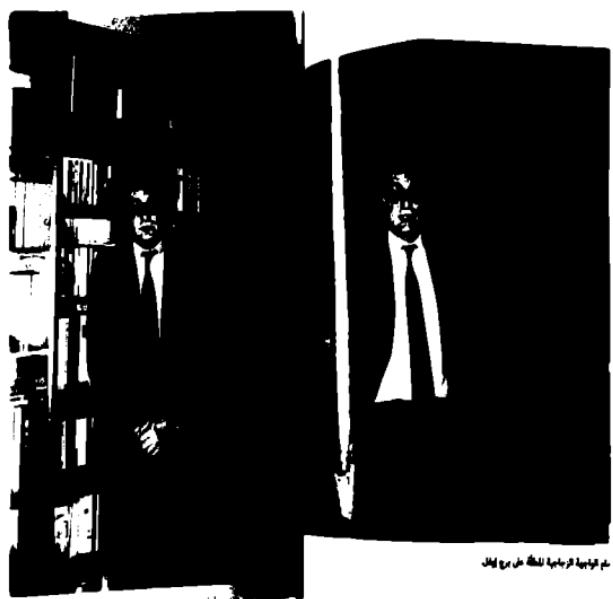
وعلى الهواء. لا أريد أن أرى أكثر مما رأيت من خيبات الأمل.
ولعل ذلك هو ما تبقى لي من أمل: أن أحصن نفسي ضد الخيبة.
أما العالدون، فإنهم عالدون، بقصيدتي أو بغير قصيدتي.

أنا الواقع أدناه
محمود روشنی



.الصورة: 7، صالة الولايات المتحدة، باريس .16





مکالمہ کے پڑھنے والے ملکی عوامی



مکالمہ کے پڑھنے والے ملکی عوامی

لبنان - بيروت - معرض الكتب العربي

لبنان - بيروت

أحوال كاملاً بخطِّ محمود درويش

لبنان - بيروت

في 15 نيسان/أبريل 2002 درويش ألقى بعد ترؤسه "حفلة حداد" في قاعق كوشوك، العمرية، بيروت - حفلة ملائمة الكتاب وأساتذتها ممك فخر عالي.

عَلَيْهِ أَنْ تُسْقَدَ عَنْهُ نَارٌ ، فِي الْمَزَادَةِ رَفِيقِ
الْكَاهَةِ ، أَوْ أَنْ تُؤْذَنَ مِنْهُ أَنْ تَبْلُغَ أَرَاهُ بِشَفَاعَةِ
أَوْ فِحْشَةِ دِينِي أَوْ دِينِ سَيِّرَتِهِ . فَإِنَّهُ مَا زَالَ يَعْيَى ، أَوْ
يَقُولُ ، يَعْدُ فِي بِالصَّدَرَةِ الْأَذْوَارِ مَذَرِفَ الْأَذْوَارِ كَمَا كَانَ ،
وَتَمَّا ظَبْحَتِي عَلَيْهِ . مَا زَالَ يَحْمِلُ الْأَذْوَافَ لِعَبَةَ ،
وَمَا زَالَ يَرْضَعُ مِنْ تَدْبِيرِهِ . مَا زَالَ يَحْمِلُ الْأَذْوَافَ لِعَبَةَ ،
بَلْ اَنْذِرْتُهُ الْأَذْوَارِ ، أَوْ إِنْ تَرْفَعَ الْأَذْوَافُ - إِذَا
هَذَا التَّفْسِيرُ

وَالرَّجِعُ .. مَا زَالَتْ هِيَ الْمُرِبعُ ، أَنْفَقَتْ عَلَيْهِ
فِي أَجْوَافِ الْمَنِّ لَهُ تَنْقُوتُتُهُ مِنَ الرَّشْدِ وَالْمُشْرِقِ . مَا زَالَتْ تَهْبِطُ
مِنْ كُلِّ نَاصِيَةٍ ، رَحْمَاهُهُ مِنْ نَاصِيَةِ الْفَلَقِ ، وَرَقَّتْ فِي
مِنْ أَسْنَنِ شَيْئًا سَوْيِ الْمُرِبعِ الْمَنِّ هِيَ تَخْتِي - كَمَا كَاهَةُ
الْمُتَبَّلِ . أَوْ غَوْفِي كَمَا أَهْمَارَ أَنْ أَنْتَوْلُ . ثُمَّ
فِي الْحَفَّةِ مَا يَكْفِي مِنْ دُوْرِفَتِكَيْ تَكَيْ نَعْرُفُ سَكَنَاتِكَيْ ؟
وَمَا كَانَ فِي هَذَا التَّفْسِيرِ مَا يَبْرُرُ أَسْنَارَ الْأَنْفِيَةِ ،
وَمَنْ لَهُدِيَّ شَرْطاً أَنَّهُ صَدِيقَةَ ، إِنَّ شَرْطَ الْأَذْوَافِ ،
نَهْرُ بَقْتُهُ الْأَذْوَافُ إِذَا زَصَبَتِ الْأَذْفَنَةِ ، أَوْ هِيَ اللَّدَنَةِ ؟

وَ أَنْبَرَ أَبَاهُ ، فِي الْمَقْرَبِ إِلَى مَارِثَةِ الْجَزِيرَةِ
وَلَمْ يَعْلَمْهَا إِلَّا هَذَا الْمَسْتَوُ . كَمْ مِنْ إِلَّا أَنْبَرَ
فِي الْمَكْلَفِ إِلَى سَادَةِ الْأَنْقَبَةِ مِنْ سَطْرِ هَذَا النَّبِيِّ .
مَالِكٌ ، الْغُولُ الْمَرْعَى الْمَفْلَكِيُّ كُلُّهُ إِلَى سَادَةِ
وَ ابْنَاءِ الْمَرْزِيقَةِ ، عَلَى فَسَادِ الدَّارِعِ مِنْ أَجْلِ
كَبِيِّ التَّعْبِيدِ مِنْ الدَّارِعِ الْمَفْلُودِ إِلَى الْمَرْزِيقَةِ الْمَفْلُوْدَةِ
لَهُ . فَمَثَّلَ شَاعِرًا عَيْنِيَّا إِلَى هَذَا الْمَدِ ، ثُمَّ نَادَ
أَمْرِيَّةِ الْمَرْزِيقَةِ مَأْرِيَّةِ الْأَنْقَبَةِ أَسْرَةَ جَمِيعِ سَكَانِ
الْأَنْقَبَةِ الْمَرْزِيقَةِ .

أَنَا الْمَفْلُودُ الَّذِي يَحْلِفُ رَأْهُهُ ، الْمَفْلُونُ الَّذِي
يَكْتُبُ قَيْمَاتَهُ مَصَادِرَهُ ، نَاقِيَّ أَبْرَاهِيمَ أَنَّ أَبْرَاهِيمَ
إِلَّا أَبْرَاهِيمُ ، إِلَّا بَنَيَّهُ إِلَّا أَرْضَهُ ، هَذِهِ لَوْلَمْ يَعْدَهُ
لَهُ صَفَيْهَا .. مَلِكُ جَمِيعِهِ .. مَلِكُلُبِ هَذَاكَ كَمَا يَسِّاهُ
عَلَى هَذِينَ الْكَتَابَاتِ مَالِكَيَّاً ، مَلِكُلُبِ فِي الْأَنْجَةِ
إِذَا أَرَادَ هَذَا ، أَوْ إِذَا أَرَى هَذَا آخِرَ ، فَعَنِدَهُ
مِنْهَا بَعْدَ بَعْدٍ بَعْسِرٍ تَارِرًا عَلَى الْمَرْعَى الْمَرْعَى
وَ الْمَفْلُوْدَةِ إِلَى الْأَنْقَبَةِ الْمَفْلُوْدَةِ ..

أبي هي أبي . ولما استفعت أن أخذ فهرا
رضنارها من لعنة الورز لمفتت . فلم ، ترقى
رميبي من سبلا ، فذوب فارجها أفقه ملوبي .
بعندها لد ألبه من كل هذا المأساري ، الذي هو
ما يدور في بوردي طه ربيها ، غير سبلا أبي .
نحوني أمعن لد ستزاد ملوبي الورز ، لد ستزاد
انساني في صدر في لها هي ، لد كما ترسها البرية
والبرى ، التي ارتقبت في بوردي من ناصية ، ولد لها
ترسها البطلة من ناصية آفرى .
في أبي ، كما نات ، زاوية الريح الفضفاضة
رسنه نارينا المنبع ، والشابة ، هل مرأى من
حول الريح ، بنوار الرديبي . والريح ، التي هي أبي ،
في الريح ذات الصعد الوربة ، ذات العبر الزييف
ذات العبر الميت ، في الماء الماء الحية لكن المسير
يعصب والهر رالدم ، في الباقيه ، ورائنا جل أنا ذات
بعابرية سـ القراء حق لو صار بعضهم آثار أو

أو معاً الدُّبُرَةِ . سَلَفَهُمْ بِهِ بَعْضُهُمُ الَّذِي لَدُونَ يَسْتَأْتِي
بِهِ مُؤْكِنٌ أَمْ طَبِيبٌ أَمْ مَهْنَمٌ زَانِي ، هِيَ أُجَيْ .

لست « سيد المحن » في مفترقها ، الذي في تمرّد
من رموزها ، سيئة قوية ، ونامية أهياًنا ، ليس
في رسم الدين أن يكون سيئاً أبي سيئ في هضبة
أم نامية . كنت ألمّن عرضاً صغير ، ألمّلاً لا تجني
له أندية نبضاته رصداًها إلّا في سجن الظلوك . وبعد ما
تكررت سجوف تكررت زياًها وضيوفها وصلباًها ،
لذكرك أن رداء قدرنا المصونة أمّا عاطفتنا ،
صنة ، محبته . رأينا أيضاً لذعة في السخرية .
وعندما تابعته ، قبل أشهر ، في القاهرة عثرت فيه
على رواية بارزة .. لم تختلف عن نسخة المسابقة
والسينما . صيف عاتبه : لماذا كنت تضرّ بيّن كثيرة
ـ تحليقين المحسنة ولعنة كلّ ما جري في المارة ؟ فحكت قصوبي
لـ إبني كنت جائحة وغيث اللند . رغم ما سألهـ إن كنت
سأعود إيرك فربّا في بيته ، رفعت دعائـ اللهـ إله اللهـ
ـ وأضافـتـ : ابن غرفتهـ ما زالتـ كـهـ تـزـيزـهـ بـلـيـبيـهـ
ـ ولوـ حـانـتـ ، لـكـنـ أـضـفـنـاـ إـيرـكـ صـورـ زـوـجـانـهـ زـانـشـهاـ ،ـعـنـهـ
ـ شـفـتـ الصـورـ لـذـفـرةـ ؟ـ رـطـالـبـتـهـ آـنـ أـنـجـبـ مـنـهـ

رأيشه إليها .

رَأَيْشَهُ : صَحِيقٌ ، إِنَّ الْبَيْتَ لَمْ يَتَفَقَّهْ .

وَهَذَا كُلُّ شَيْءٍ فَارِبٍ لَمْ تَفَقَّهْ .

رينا ، بنت اسم امرأة . هي اسم سُرِّي

لصانع القيب في راتب الرب . هي اسم العناية بسد بني
في فخرية حامرة بالبرده . هي السيدة المقدّرة من
القرف والعزّلة وفاغاً عن بناء كل من البسدين في
لكرن بيخاربان فيه خارج العناية .

منذ فتحت دعّتني عدّاماً يرقط النساء مدعى
زوجي الرابع ، هيئت لسعتي الرؤوف . له ، لم يَعنْها ،
شدة ما كان ، هاربة رشاقته ، رافتباً لأهلاه
ابعد في فخرية من الوجه .

كانها ، كان هذا الدسم كأنه يُغْنِي ، بعد الصهليل ،
زلاط الصوت البعيد البعيد الذي يأخذ كل راحد هنا
ان شفاء الذي له يتدارس مع شفـة المؤفر . كان يُغْنِي
بلفة دهـنهم هنا غير اغترابها تعلوسي التكر في
القططم . ولقتنا ندعي سلامة المرفقة ذاتها .
لم يَعنْني في سمع هذه الرغبة أن تستقر ، تدرّجياً ،
كأنه عبرة أن تخزنه رأسنا تحفتنا . رُكناه عدّكتاسي
الستارع أن يُنسّوا الراوية ورفيقه في الصباح .

لقد ذكرتُكِيَا تَسْهِيلًا لِّمَا انتَهَى، بِلْ لِذَلِكَ
فَهُوَ أَنْتَ . ولِذَلِكَ لَيْسَ لِي مُرْسَعُ الْبَصَدْ أَنْ
يُسْرِعُ الْبَصَدْ . تَقْتَلُهُ ، هُوَ مَرْأَى مِنْ شَارِعِ
الْمَرْأَةِ .

رَأَتْنَاهُ ، مَنْ هُوَ رَسِيْلًا ؟ سَابِعَةٌ مِّنْ زَوْجِهِ
أَفْرِيْدِيْلُ ، وَرَبِّا نَسْلُهُ فَهِيْدَهُ مَا أَنْ
نَجِيْهَا . رَجَاءٌ !

بندر ما نحتاج الى السفر والى ملوك السُّرُور ،
نحتاج ابداً الى بعض الماء من السُّرُور . فهذا الفاصل
ابين ، هنا السيد المطلع للشئون في امارة انساب
مدينه علاوه عليها ، قد يغوصنا بالقدرة على حل مشكل
الوجود نفسه ، مثلاً سؤال المرت الذي يحوله الى
لعبة سعداء الدهر ، وفي مقدمة الرد فيه المربي ،
لأنه المرت هو المرت ، والمرت حقيقي لأنه من
عمر الذي أمه نسخه ، منه بدائية ، لصانعه
المرت . الله جبرت آلام المرت وجبرت المرت
أيضاً ، فوجده سهلة . ووجهت أن ما يوحيتنا في
المرت ليس صد المرت بل آلام المرت . الله تأمّلت
ساعاته ، ثني عن نفسي حارثاً على تلذذ أيها ، ورقن
ميته خارج ايها ، وطبع أنايا طيب القلب لأن زهر
السبعين ، ربعم العودة الى الحياة بعد ما ترقف قبلي من
العنقاء رقيقتيه .

إن سؤاله مرتب بطريقة لا تدخلني لوزن ألمهم
ماذا ترمي بي بعد الحديث عن المرت . تجربة المساحة
تجربة الرصد ؟ جميع ذات المساحة تفتح لأنها

المُشَهَّدُ مِنْ رَبِيعَةِ أَنْفُلِ مِنْ زَرِيْ أَنْفُلِ
وَأَسْبَارِنا وَأَعْنَانِ الْمَحْدُودِ رَبِيعَةِ كَلْمَةِ . وَكَمْ هَذِهِ
الْمَسَانَةُ لَمْ تَلْعَمْ إِلَّا الْبَيْهِيْ بِإِذَا لَمْ تَهْدِيْ إِلَى
الْوَصْلِ . أَيْ وَصْلٌ ؟ إِلَى الْمَدَارِ الْأَسْمَاءِ الْأَزْوَاجِ ؟
هَذِهِ سَيِّدَةُ نَبِيِّيْ . ثَمَّ مِنْ رَوَاهُ كَاتِبُهَا فِي
عَالَمِ دَارِرِيْ . لَهُنَّ الْوَصْلُ هُدُوْدُهُنَّ وَلَهُنَّ
الْوَصْلُ إِلَى الْقَصْصِيْدَةِ ، إِلَى الدَّلَلَةِ ، إِلَى السَّلْفَةِ ، إِلَى
الْمَرَأَةِ .

يُبَيِّنُ يَقِينِي أَعْتَدْتُ بِخُرْبَةِ الْمَسَانَةِ مِنْ ذَهَابِهِ إِلَى
بَاسْطَةِ الْمَرَأَةِ . هُدُوْدُهُنَّ خَلْفُ سَنْدَانَةِ ، الْمَرَأَةُ فِي الْعُولَ،
وَفِي الْعُصَفَةِ ، وَفِي الْمُنْتَاطِ الْمُزَوِّدِيِّ الْمُجَاهِيِّ . وَمِنْ هَذِهِ
الْمَسَانَةِ تَرَكَ آثَارَنَا ، آثَارَاتَنَا ، وَقَرْدَ آثَارَنَا ،
وَصَورَنَا ، وَشَهَادَتَنَا مِنْ زَانَةِ رَبِيلِهِنَّا ، وَرَبِيلِ
آثَارَنَا . زَانَةً ، يَا آنَزَنَهُ شَهَادَةً مِنْ الْمَرْسِيَهِ الْفَزِيِّيِّ
لَهُ يَعْنِيْ عَدْمَ وَصْلَهُ ، دَانَةً ، عَدْمَ صَطْبَهُ . سَعْيَ زَانَةً ،
نَاقِيَّ آثَارَنَهُ ، كَمَا قَدَّتْ زَانَةً سَرَّهُ ، إِنَّ الْبَيْتَ
أَبْلَى مِنْ الْمَرْسِيَهِ إِلَى الْبَيْتِ .

بَسْتَنِي فِينِي سَعَاءَةً مِنْ نَبَاهِ السُّمُرِ العَزِيزِ
 الشَّيمِ ، أَبِي بَتْ فِينِي لِيَهَا شَرْبَةً ، مَلَوْ بِي
 الْغَرْبَةِ الْمَدِيدَةِ بَيْنَ النِّسَاءِ ، مَلَوْ بِي فِينِي الْمَاتِحَةِ ،
 وَلَوْ فِينِي الْأَذْيَرِ الْأَذَاصِ الْأَصِيدِ بَيْنَ الْعَرَاءِ .
 فِينِي بِي أَمَدْ أَنَاهِ بِرَوْسِ لَسْبِي ، بِي أَمَدْ
 مَنَارِيَةِ الْمَصِيدِ الْمَاسِدِ بِلَوْزِ تَبِيرِي مِنْ شَبِيْهِ لِدِيْرِيْلِيْجِيْ
 الْعَوْدَةِ الْأَدْرَلِنِيَّةِ مَلَهَهَا ، مَلَدِيْرِيْلِيْجِيْ
 سَنَاهِ أَمَدْ بَنَى بَنِيَّ عَشِيرَةَ مَلَهَهَا تَانِيَةَ
 رِهِنِيَّ نَهْتَ : « لَدِ هَرِيَّ الدَّهَنِيَّامِ - إِذَا »
 اَهْنَتَتْ شَاعِيَّ نَدِ الدَّلِيَّ « كَنْتْ أَعْتَرْتْ عَنْهَا سَخْرَيَةَ
 اِمْتَاجِيَّةِ سَفَلَيَّ بَرْسِهِ ، بَيْنَا بِجَهَوَهُ الْأَوَّلِيَّةِ الْمَلِكِيَّةِ الْمَفْلِيَّةِ
 هِيَ صَيَّانَةِ اِسْلَامِيَّةِ الْمَلِيلِيَّةِ وَرَأْسَهُ ، وَقَلْعَيِّيَّةِ الْمَعْبِيَّةِ
 مَنْ هَنَّتْ بَيْنَ الْعَوْدَةِ وَنَدِرَنَهُ عَلَى اِنْجَازِ لَذَا الْعَوْدَهِ ،
 رِزَاهِ بَنَاهِ الْخَلَقِيِّ مِنْ ظَاهِرَةِ الْمَكْيَمِ الْمَارِعَهِ حَرَّ
 أَمَدْ أَعْتَرْتَ الْعَنِ الْمَلِيلِيَّ .
 مَدْ أَبِي أَيْنِهِ اَعْتَرْتَ أَنَّ أَمِيَّتْ ؟ إِنَّ

المحاربات هي التي تُنقلن من أرض إلى أرض
في هذه الفترة : سا القاهرة ، إلى بيروت ،
إلى قرطاج ، إلى أوروبا . ولكن الأرض التي
افتتحت أن أغحيتها ، هي الأرض التي أورثتني
بها أجدادها ، لما أورثوني لفتي ، وفي الأرض
التي يتوسّل أبناءهم وأحفادهم وأحفادهم
بيانهم على أهل استردادها ، هي أرض فلسطين
أرض أبي طالب ، أرض مصطفى ..

أما إذا كان سائل يطالعه بالخصوص على
كتبي الدعّاف ، فما يجيئ أعتبره يأتي نارم على
الفرج من هنبا ، على الرغم من أن قوله فرد في
نم آية هرّ . نعم ، كان ينبغي على أن أطبق في
سبعينيات القرن العشرين ذا قيمة أقل!

حمست في بيروت عشر سنين كانت حافنة لدن
 أربعين من قبلي هونافي آخر بيروت ، طرفة صحفية
 المصطفية التي قد تخسر سنه يعتقدونه أن التغيير
 من محب بيروت يمسك بيته في التغيير !!
 بع ذن ، أقيمت قبراؤ عن هذه المدينة التي تقع
 زارها في حالة الدهش العاطفي عليها . ولذن بيروت
 آخر سه مدينة ، في كل شارع مدينة ، ننان كل راهد
 سنا بعثة عن نفسه موجودها في مرآة بيروت ، ودون
 أن يعني أنه بيروت يمسك هنا ، وأنه هو ليس
 في بيروت يقدر ما عده سيفن في صدرها التي شارك
 في رسالتها .

هل كانت بيروت هزيرة للعدام المخلف ؟ هل كانت
 لعدة ملائكة لا تكتب من سجل ؟ . الله رفعت ثمنا
 هنا التغيير وهذا الرصف ، لا شيء إلا قد يدخل
 في مقدمة المساراة ، ولقد تزاحم نوابيب من حائلة
 المغاربة التي يمسك في صحتها .
 مكانه لم يكن من الطبيعي أنه تحتفظ بيتها

بِهَا تَمَكَّنَتْ الْمُعْنَوَةِ . كَانَهُ كَانَ سَطْحِيًّا أَنْ تَنَاهِ
يَقْنِي إِلَيْهَا فِي مَا سَرَّجَ اللَّامَ .

لَمْ يَرِدْ بِرِوْتَهُ لَمْ تَتَّبِعْ بَعْدَ . لَمْ يَمْسِكْ مِنْهَا شَهْدَهُ
بِدَيَّةِ الْأَمْتَانِ الَّذِي أَمْدَى لِلْأَرْبَابِ الْأَرْبَابِ ، لَمْ يَرِدْ
بِنَاءَ تَجْرِيبِيَّيْهَا يَهُجُّ تَجْرِيَةَ السَّاهِدِ عَلَى اهْبَارِهِ ، وَلَمْ
يَمْلِدْ لَدْنَهُ شَهْدَهُ . لَمْ يَرِدْ رَهْبَيْهِ الْجَاجِيَّ قَبْلَ
الرَّهْبَلِ ، وَرَفَقَتْ نَقْدِيَّهُ النَّاقِيَّ ، وَرَفَقَتْ هَبِيَّهُ أَرْفَقَهُ .

رَاعِيَهُ : لَمْ أَغْرِطْ كَثِيرًا فِي الدِّرْخُودِ الَّذِي رَدَتْ
بِهِ الْأَذْرَافُ نَشْرَهُ عَلَى صَبِيَّهَا فِي بِرِوْتَهُ رَهْلَهُ
صَبِيَّهَا بِرِوْتَهُ فِي سَارِيَّهَا . لَمْ أَرِدْ رَوْزَهُ مَا عَرَضَهُ
لِلْفَتَنَهُ سَهْلَهُ الْأَذْرَافُ ، نَهِيَّهُ مَشَهِهَ السَّاهِدِ إِلَى
الْهَادِيَّةِ . رَفَقَ ، كَانَ عَلَيَّ إِلَّا أَنْجُدَ مِنَ الْهَادِيَّةِ . كَانَ
عَلَيَّ ذَهَبَهُ إِلَى الْهَادِيَّةِ . لَمْ يَمْلِدْ السَّاهِيَّةَ ، وَرَهْلَهُ
يَهُ الْمَوْرِفُ . كَانَتِ السَّاهِيَّةُ سَاهِيَّهُ أَمَّهُ مِنَ السَّاهِيَّةِ .
لَمْ يَمْلِدْ فِي حَيَايَيِّ الْأَطْاهَهُ سَاهِيَّهُ التَّرْفُهُ لَهُهُ . لَمْ
تَرْطَشْتِ عَدْوَيَّيِّ السَّاهِيَّهُ بِعِشْرَوَهِ وَلَذْرَبَارِ الْلَّهَبَانِيَّهُ
وَالْعَرَبِيَّهُ الْمَقْبِيَّهُ فِي بِرِوْتَهُ . كَانَتْ أَزْرَارَ الْكَعْكَيَّهُ الْأَزْنَاتَهُ ،
أَنْسَبَهُ الْجَاجِيَّ ، أَسْبَدَهُهَا فِي السَّهَّارَهُ . وَرَفَقَتْ أَدْرِيَّهُ
هُ سَقْرَهُ نَهْلَهُلَيَّهُهُ . وَرَفَقَتْ الْأَذْجَاهُ .

و باستثناء بعض النزارات **الشقيقة والسفرية** ،
لم يَمْلِئْ نَيْرَهَا الشُّنْجَةَ مَا يَسْخَدُهُ الْمَرْأَةُ ،
فَكَذَّتْ أَهْبَةَ بِرْدَتْ ، وَأَهْدَى سَنَةَ لِيَالِيهَا
سَنَةَ شَفَقْ مَزَاجَهَا الْأَذْرَقِيِّ وَالْأَعْنَقِيِّ وَالْأَسْبَاسِيِّ . وَكَذَّ
مَلَ هَذَا مَزَاجُكَ بِعِصْمَانِ هَبَّاهَا .

لَنْ أَلْفُهُ ، هَذَا ، نَقْيِ الْقُمُرِيَّةِ عَنِ الْعَهْدَةِ .
إِذْ يَسْدِلُ إِنَّهُ مَعْرُوفٌ بِمَا فِيهِ الْأَفْلَانِيَّةِ . وَلَدَ
أَتَرْضَعُ لِذْخَارَتِ الْمُرْدَلِ إِنَّهُ نَعْنَعٌ هَدْرِيٌّ فِي الْأَفْلَانِيَّةِ
الْعَرَبِيَّةِ .

الْعَهْدَةِ بَيْتُ دُونَّا أَوْ رَاهْمَةُ نَفْطَةِ ، وَلَيْسَتِ
رَاهْمَةً لِلْعَهْدَةِ ، فَلَمَّا رَسَمْنَا أَنَّنَا نَحْنُ دَرَدِلُ لِغَصَّيِّ
الْعَهْدَةِ . وَلَمَّا رَسَمْنَا أَنَّهُنَّا نَحْنُ نَبْلَنَ اَهْتَيْرَنَ اِلْرَفَانِيَّةِ
يُ دَرَدَهَةَ رَجْلُ اِمْرَأَةٍ أَوْ فِي دَرَدَهَةِ اِمْرَأَةِ رَجْلَهَا
لِتَارِلُ الْعَهْدَةِ . فَلَمَّا هَذِهِ الدَّرَدَهَةُ تَرَالَهُ ، إِذَا مُشَاهِداً
عَلَى التَّعْبِيَّهِ عَلَى سَتِّيْهِ آهْرَهُ . فِي الْعَهْدَةِ ، إِذَا ،
كَنَّيَّةِ . هَذَا مَا لَمْ أَقْلِهِ ، وَبِالْمُتَنَبِّيَّ تَلَهُ ، فِي نَقْيِ
الْمُسَاءِ إِلَيْهِ .

وَالْعَهْدَةُ كَادَةُ ، سَسَسَهُ فَرْدِيَّهُ رَجَامِيَّهُ .

سَمِّيَّ فَجَاجَانَ الْعَهْدَةِ الْأَذْرَلِ ، وَهُوَ زَوَادُ عَصْنَوِيِّ ، تَسْقُعُ
زَوَادَاتُ أَفْرَدِ ، سَنَّا زَوَادُ الْأَزْرَانِ ، عَلَى التَّدْفِينِ زَوَادَهُ
الْعَيْنِ عَنِ الْبَرِيَّةِ ، زَوَادَهُ اِسْتَأْدَهُ مِنْ صَرْيَهُ الْمَنَافِعِ ،
مَكْلَهُ كَانَ مَكْلُ الْعَبْدِعَ أَصْنَعَهُ لَهُ اَهْتَسِيَّنَا الْعَهْدَةِ

باستناد محن سهل . أما إذا كانت النساء مارثة
فإننا نخرج العودة ، وقد لا يرى منها إلا لونها .
والعودة الوردي ، لما صفت ، يعودها الصدف .
في هنا ، مرادفة للعدة . ورقيبي الوردي لا تقبل
أبو صفت ، لا صفت المواريد ، ولا صفت الماءات ،
ولا صفت هبشي ، إذا وقفت في البيت .

واللهفة الورق في أول رقيقة في الورق .
بها يكون الزمن نافعاً ، بها يكون كل شيء في حالة
مرت .
نعم ، اللهم لون ، وراحة ، رمان ، ورقة ،
سجدة ، وتأمل ، وفتح ، ونافذة مشهد للسماء
وسماء ، وريء بعيد ، وناري ينادي البعيد .
رسن ، قبل زهر ، هي أول فضة أفلوها خمر
صافي ..

[هل زرمتنا فجأة قهوة؟ نالته الدن
في الماءة بعدها الطير، رئيس مجلس من
بيه يصرخ لذاته تحفظ على صناديق القهوة ما
يكلوم. نالته الدن تقتل الصدّت]

لذا السُّرُّ ؟ لذِي أَسْتَطِعُ أَنْ أَخْدُلْ فِيهِ
وَأَنْ أَخْلُقْ فِيهِ مَا لَدُّهُ أَسْتَطِعُ تَوْلِهُ أَوْ فَعَلْهُ فَارِجُ
السُّرُّ .

مُهُوْ فَعَلَنَا وَرَأَلَنَا فَارِجُ السُّرُّ مَا فَعَلْتُ فَتَوَلَّ
وَأَخْدُلْ ، بَلْ بِالسُّرُّادِ عَصَابَةٌ مِنْ الْجُرْجُونَ وَالْجَانِشِ .
فَصَوْرِي لِمَ أَنْتَ مَثِيلَةٌ عَلَارِيَّاً فِي السُّرُّ ، هُوَ
أَمْ فَصَوْرِيَّيْنِي أَتَوْلُ بِجَرْسَدَةِ الْمُكْرِبِ ؟ ، أَمْ أَعْلَمُ فِيَانِيَّا مِنْ
الْأَنْوَةِ تُزَغِّرُدُ فِيهِ يَاهِ الْمَزَارِبِ ؟ !
لَهُ أَسْتَطِعُ فِي التَّحْصِيدِ إِذْ أَنْهُ الْكَوْنُ هُرَّاً . وَلَهُ
أَسْتَطِعُ أَنْ الْكَوْنَ هُرَّاً إِذَا كَتَتْ عَلَارِيَّاً تَهَامَّاً مِنْ
الْأَنْفُسَةِ ، وَمِنْ الْأَزْعَادَفِ ، وَمِنْ الْفَقَالِيَّهِ ، وَمِنْ
الْأَرْيَةِ زَاهِيَا .

أَمَا مَا يَبْقَى بَيْنِ فَارِجِ السُّرُّ فَهُوَ : النَّاعِمُ ،
وَالْمَدْفُ ، وَالْمَدْرُورُ ، وَمُشَرَّطُ الْأَرْيَةِ .
وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ أَنْفُلْ .

رَلَنَ ، اسْعَى هَذِهِ التَّصْيِيَّهُ سَعْيَانَ يَدْفَلُ الـ
السُّرُّ وَيَطْرُجُ سَهْ : إِنْ يَعْلَمُهُ الْأَنْسُكَهُ مَهْرُوسَ

بالحقيقة ، كثرة هذا - وهذا سؤال جيل
فذنه ي يريد أن يتوسّط النافذ ، أو المعاشر
بين دافع الشاعر وفكرة .
وتقى ، علمنا أن تندفع رائحة أن أهياناً
كما ثانية ، أنه لا يعود للداخل من دون
الخارج . يبي في ما أبهجه داخل الشم إذا
لم أكن ممتنعاً بالخارج : بالخارج ، بالناس ، بالخارج ،
بالطبعية رغبها . وللتفوق أن يربت كبياء رأفة
الناس والسرى ، بطرقه التي لا نفهم آلية عملها ،
مع الصادر العارنة من الخارج والمؤونة أيضاً لصوتة
الداخل بها .

أما ثمة يتحلى الداخل رأفة مستقلة عن عناصر
تدوينه التاريخية ، فنفعي بأهدى نسراً . فهو صورة بكل راحة
منه . من العجيب أن يخرج الداخل بعالمه الخاص
فيضاته ، إلى الخارج مختلفاً عنه . والله لو لم يكن
منه لما اختلف عنه . وبي في وسع الشاعر أن يلوّن
شاعرًا رائحة .

إن ما يتبقى لنا فارج باسم هو ما بليتنا
المشتورة لتحول الناس إلى مادة يهضمها الداخل ، أي
له خوب ، الواقع والواسترجاع إلى حالة شفاعة ..

هذا أنيها ، نراس مجلس مدينة السُّلَيْلِ السَّابِعَةِ ،
لوضيف : ابن العاوه حد ابن الجماعة . ولذا ، لم أفتر
نفسي شعراً قد رسم الذي كانت هداه آخر شاعرية نه
ذها كانت تتاجج جماعته .

الهزاف في الوضاعي قد يكتب غير العزافي . ولهم خلق
الله المستعان لما كتب لهم .

بقي صارح س شاعر مقطوع عن تاريخ الوضاعي
والستقني ورقن جماعته . وبها كبرت أور صفرت ، ورقن راقفة ،
الذئب أقصابه ، العزافه هنا عقلية اجتماعية مجددة بـ سيرورة
تارخية . ملائلاً نفقي عن أنفسنا ، وفي كللة تارخه ، نعم
أنسلة أنترين أشترى واردو حلاً يناله ؟ ملائلاً تأديب تاريخ
ن لقلة ما قبل التلؤه ؟ ألمي تندى آلة ساقوا فاتحه
هر سبيه اصطلاحات آخر ؟

لست مصدراً على هذه الحد . رئيس لجنة المستودي المهدوي
الله الذي أقول معه أنتي أستغير الشفافية مع جماعتي . لذاته
سيفي الخاصة هي سيرتها ، ولذاته لغتي هي لغتها ، ولونه تاريخي
الذئب وملائقي هو شاعر جماعته مع أنترين الوضاعي
العام .

رئيس من رأسي في آتشي ، فانما هو أقرب أنا
أشعل آتشي ، ولذا مستظير آن أشعل غير العزاف الذي

يزورهم في نصبي ، في فوضاه وفي شأفتاته . هنـ
 نصبي لـ أديـي تمـيلـ بـقدـ ماـيـ مـوـهـهـ . أـلـ
 أـهـلـهـمـ بـعـ نـصـبـيـ رـسـعـ جـائـيـ ، رـائـاـ ، فـ ماـيـ تـقـلـلـهـ
 بـفـرـقـةـ فـهـيـ لـطـبـعـةـ السـفـرـ ، وـبـلـرـبـةـ فـرـجـيـ للـعـرـونـهـ
 إـلـ آـنـاـ بـلـرـفـ ، وـلـعـدـنـهـ الـفـصـيـهـ الـجـدـيـهـ بـالـذـائـفـهـ
 الجـاعـيـهـ الـعـامـهـ ؟ فـلـمـ . إـنـ زـمـعـ يـحـدـثـ مـرـأـهـ دـونـ أـنـ
 أـنـقـضـ مـعـ تـلـهـيـ الشـامـ فـيـ هـنـهـ لـوـ رـفـعـ بـهـ إـلـ
 العـزلـةـ عـنـ فـلـطـةـ الـزـرـدـ الـعـامـ الـراـهـنـهـ ، وـلـلـفـلـيـهـ رـائـاـ
 السـفـرـ . سـهـ ، سـجـلـ آـنـاـ عـرـيـهـ إـلـ ، الـهـدـهـهـ هـازـاـ
 هـدـهـ لـيـ هـازـاـ هـدـهـ جـاعـيـهـ ؟ لـعـهـ تـقـيـرـهـاـ بـعـاـ ، لـعـبـرـأـهـ
 مـخـلـفـهـ .

مـنـ الـفـرـدـيـ أـنـ قـرـفـ ، دـونـ أـنـ فـتـرـفـ ، أـنـ السـاءـ
 دـوـيـ سـيـبـ لـدـيـهـ أـدـ الـأـهـمـ . إـنـ لـلـرـبـيـهـ
 بـلـيـ عـلـيـهـ ، بـعـرـيـهـ طـلـقـهـ ، مـاـيـخـزـنـهـ سـرـيـ . بـيـسـ
 ضـرـعـ مـنـ صـدـتـ الـجـاعـيـهـ إـلـ إـذـاـ وـهـدـتـ الـجـاعـيـهـ صـدـنـهـ
 الـجـاعـيـهـ فـيـ صـدـتـ الـفـرـدـ . إـذـ زـمـعـ السـدـوقـ يـتـمـ بـعـدـ عـلـيـهـ
 الـعـتـابـةـ . فـاـذـاـ يـقـلـ اـشـعـرـ هـيـنـ . بـعـدـ اـنـسـانـهـ فـيـ هـدـهـهـهـ
 الـفـرـدـيـ هـرـيـاـ صـدـهـمـ الـجـاعـيـهـ ؟ مـلـيـعـيـ بـلـهـمـ . أـمـ
 يـحـشـلـ ؟ إـذـ أـهـتـهـ مـنـ ذـيـ أـنـ جـاعـيـهـ غـولـهـ .
 لـدـ ضـرـورةـ .

بدأت أشعر بالتعب . أعني من المدرسة لا من
المصارحة .

لله أهلاً - والذين لا ينادونه . ولهم مِنْ خَيْرٍ أُعْدَتْ
الذين لا يأبهونه .

ما ذُلتْتَ سَاعِلَ لَوْ وَلَدْتَ مَنْ أَبْ سُورِيَ رَبِّا
أَمْ يَرْتَأِيَةً ، وَكَمْ مَتَّهُ أَسْيَ لِهَنَّ؟ كَنْتَ حَشْمَهُ
سَاقِلَ الْحَيَاةَ مَا وَقْتَنِي إِيَاهَا الْحَيَاةَ . وَكَنْتَ سَاغِصَ ،
بِالْفَةِ الدَّعْلَمِيَّةِ ، فِي الْجَيْحَةِ هُنْ هَذِهِرِيَ التَّقَانِيَّةِ الْبَغْرِفِيَّةِ ،
وَهُنْ هَقْتَقَةِ أَيِّ السُّورِيَّةِ . أَمْ نَذِلَّ؟

لماذا تكون المكانة طبيعية هناء، مع أنها آلة
استكالمية؟ ومتى تكون المكانة هناء، مع أنها طبيعية الـ
آلة درجة المكانة؟

لقد صدرت من تجربة أب ذات تجربتين على أرض
نيلية . فإذا أهارب هذه المعاونة ؟ فإذا أهان ؟
لما زا نشوء هذا الورثة ؟ العلَّ في التأريخ من المسوقة
ما يجعل رأيَه الورثة مارثة العصيَّة أيضًا .
لا أستطيع الدليل في ما لا أستطيع الدليل فيه ،
وهو المعاونة التارِيخة .

الموضع هو ، سُقُولًا ، زراعة لكتابه الستر ..
أما إذا كنت تُعربه باتفاقه ، وَكُنْتَ مُؤَمِّدَةً
لـ زرعة ، فهذا يعني في أصل الأزهار أن الشاعر
مهاتَب ، لا يكتب غير شيء واحد في قصيدة راءو
منه لـ استفالة الرصد إلى هذا التعلق في هذه
القصيدة آتى ذلك المصايم التعبيرية .

وهذا يعني ، في أصل الأزهار ، أنني لست
شاعرًا بهيئه . وهذا الرصد ، بالطبع ، غير من الرضا
الذو .

ولذلك ..

إذا كان الأزهار مغطىً على ما سمعه من كلام
عن المعاشرة والتاريخية ، فليس في رسمها أن نفاجئ هذه
الليلة المنسوبة إلى قبره الرمل ؛ ماذا لو .. لو .. لو ..
ماذا ؟ لا أحد يعرف . ولذلك أعرف أنني
و خاصة من القديم السياسي ، ينتهزون مرحلة قصيدة
بعمره فربتني مارستها ، وينتهيون مرحلة قصيدة
مع أنها .. بهذه سجني لم أكن بفيت هذه .

أنا مهنا - هنّا هو ماري
أنا هنّا - هنّا في الغرب
أنا هنّا - هنّا هو سميري
أنا هنّا - هنّا هو أنا
أنا أجمل قيسة ، بنات أمها لم يُلْمِها بعد ،
لَدَّ مَنْ ولَدَ هنّا ، ولَدَ مَنْ ولَدَ هنّا . لَدَّ مَنْ
يُلْمِي نَسَاء ، ولَدَ مَنْ يُولِدُ الدَّنَانَ ، ولَدَ مَنْ يُولِدُ
خَلَقَ ..
أنا أجمل قيسة لن تُجْبَتْ أبداً .. أبداً ..

الدمنج هو ، سُهْرِيًّا ، زَرْبِيَّة لِلْقَاتِبَة السُّعْرِ .
أَمَا إِذَا أَتَنْت شُرْبِيَّة بِإِنْزَافِيَّةِهِ ، وَأَنْتَ شَنَادِهَةَ
سَنَدَهَة ، فَهَذَا يَعْنِي فِي أَسْرِ الرِّحْمَانِ أَنَّ الشَّاعِرَ ،
مَهَا آتَيْتَهُ لَدَهُ يَكْبِيَّ غَيْرَ سُهْرِيًّا مَوْهِدَ فِي قِصْدَةِ رَاهِدَةٍ
هَذَا لَمْ اسْتَفْرَغَ الرَّاصِدُ إِلَى هَذَا الْمَقْتُولِ فِي هَذِهِ
الْمَوْهِدَةِ آتَيْتَهُ الْمَعْنَى الْمُتَرْبِيَّةَ -

وقد يعني ، في أحسن الظاهر ، أنني لست
شاعرًا بسيطًا . وهذا الرضى ، بالطبع ، غير من الرضى
الذليل .

١٣

از کاء الیوال مفهوماً عن ماسبة من کلام
عن المعاشرة الشائخية، فيکنی في رسماً أن تعالیٰ هذه
سلسلة المسورة الک قرارۃ الریل : ماذا لو .. لور ..
ماذا ؟ لا آحد يعرف . ولکنی أکتفی أن أیند
وخاصۃ من الخصم السياسي ، ينتظرون مرددة فصیدی
بع مرددة فربی ما رست هنا ، وينتظرون مرددة فصیدی
آنها . هدایت سجنی لم آفت بقیت هنار .

مشفي أني لو أهتم بها التغيم ، ما ودت لو
أضيع اللُّدُنْ ملائِيَّةَ الْعُرْبَةِ . ولكن ، هل ينتفع
شئو فصيحة ؟ لو أُخْرِفَ ، على الرغم من أنَّ هذَا
الشَّوَّ الذي أُجْهَرَهُ الرَّوْنَ ، بعلاقته بِسُؤالِ السُّعْدِ
واليقُولُ عن التغيمِ الشَّاملَةِ ، لو يهدِّلِي أَنَّهُ
يُنتَفَعُ ، إِلَّا بَعْدِهِ مَا يُنتَفَعُ .

إن انتهاء المأساة الفلسطينية لو يرقى سؤال
المرءاء الفلسطينيين عن هويته الثقافية وعن دوره
الروحي ، وعن رموزه ، ولو يزور السُّؤالُ المُهْنَجُ
في الوقتِ . إن الوضاءةِ فِيَّا لَنْ يُمْكِنَ عَنْهُ مَا
تُقرِّرُ ، وَكَلَّهُ سِيجَدُ ملائِيَّةَ الطَّيْبِينَ الَّتِي تُنَفَعُ .
وَهَذَا سِيجَدُ المُنَافِعِ المُعْوَظَمِ لِلْمَرْأَةِ السُّعْدِ رَحْنَاتِهِ
وِعَالَمَةِ بَادِراتِ الْأَنَّةِ جَاهِلَةِ ، وَأَقْلَدُ رَفِيقَةَ الْمَعْنَى
الرايحَ لِلْعَنَّةِ ..

لم يهدِ صاحب ما يلقيه من الدوام لزمامه فلسفة
الرسول ، فالعناد التفاسير من هذا القرن العاشر على هنا
أن تفتح باب الجنة لعافية الرضوار . وعلينا أن نجد
لهاربة ما قرار . وعلينا ألا نفرج أحد ثقبيه بما ينادي
من الدافع والتبرير من مسألاتي .
كان علينا أن نرى عيناً آخر كلّ تعقل
صورة المذاقات ، متى تنتهي مع سقطياتهنم السلام
الغرضي الديني .

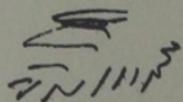
كُلَّ سَيْرٍ ، إِذَاً ، سَفَتْ مَا دَامَ السَّابِقُ فِي
هَالَّهُ تَعَوِّمُ عَامٌ ، وَمَا دَامَ مُسْتَأْنِدًا إِلَى هَذَا الْحَدِّ .
مَنْ ذَرَهُ ، مَا زَالَ فِي رَسْبَيِّهِ أَعْلَمُ ، مَا
زَالَ فِي رَسْبَيِّهِ أَنْ أَمْلَجَهُ صَدَّةُ الدَّاعِيَّ بِعَيْدَةِ
شَرِفَةِ الْمَهْبِبَةِ الْكَفِيلَةِ بِتَبَرِيرِ هَيَافَيِّ . مَا زَالَ فِي
رَسْبَيِّهِ أَنْ أَسْهَدَ عَلَى اللَّهِ مِنْ تَابِعِهِ أَعْلَمُ
بِالْفَطَّةِ رَاهِدٌ .

ما زا يبقي من سکون زرع ؟
مد اعترف . سریعا لد امریه آن اعترف ،

فليه في نجبي سأله لصعنته هديرة .
لـا أـرىـهـ آـنـ أـرـىـ بـعـيـنـهـ سـطـطـ ماـ تـبـتـهـ
عـلـ الـورـدـ مـيـلـ الـبـدـارـ رـعـلـ الـحـرـاءـ . لـا أـرـىـ
آنـ أـرـىـ آـنـهـ ماـ رـأـيـتـ مـنـ فـيـانـ الـزـلـلـ . لـعـرـةـ
زـوـرـهـ هـدـ ماـ تـبـتـقـيلـ مـنـ آـمـلـ : آـنـ آـمـضـنـ
فـقـيـ ضـهـ الـبـيـةـ .
آـمـاـ الـعـادـوـهـ ، فـأـنـهـ عـادـوـهـ ، فـبـعـسـيـفـ آـمـ
بـعـيـهـ قـعـيـفـ .

أنا المدفون أرناه محمد دريش ، ألم يهد
 باسم الصنيع لذاته ملحدة ، بآية
 أسلم هو - الصعني مع اقتضاه لا يُعاد
 الرهيبة ، فاءً ، في المساعدة الرابعة من بعد
 نظر المسنة المطافعه ٢٨ رئيسه عام ١٩٩١
 إله ، فهو يهودي يدعانا الله تسلّم في علانية
 فعل يؤمن الذاتي والذمي

١٩٩١/١٢/٤٥



محمد دريش

